

٣٥

الروائع

الاخطل

اهاجيُّ منتخبة

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

الروائع

آراء الادباء من شرقيين ومستشرقين (تابع)

راي الاستاذ ماسه

قال، بعد ان وصف السلسلة الاولى وقابل «الروائع» بمجموعة هاتيه (Hatier) الفرنسوية المعروفة باسم « *Les Classiques pour tous* » :

« L'ensemble de ces petits volumes, lorsque leur nombre sera suffisant, contribuera à faciliter la compréhension des diverses tendances de la littérature arabe. Il convient de louer franchement cette intelligente initiative. »

H. Massé
Société historique algérienne, Alger

راي الاستاذ سترشتين

قال، بعد ان وصف الجزء الاول :

« Nous ne doutons pas que cette entreprise ne puisse rendre de grands services aux étudiants. »

K. V. Zetterstéen
Le Monde Oriental, Uppsala, 1928.

راي جرائد شرقية فرنساوية

نشرت جريدة Le Réveil المصرية الفرنسوية بعنوان : *Des « Classiques pour tous » arabes* مقالاً واسعاً في « الروائع » واسلوبها الجديد، واقبال الادباء عليها، نكتفي منه بما يلي :

« ... Pour la première fois, en effet, les auteurs arabes sont présentés sous une forme aussi pratique, car nous ne voulons pas tenir pour des éditions scolaires les compilations indigestes qu'on nous présente souvent comme des morceaux choisis. M. Fouad Boustany comble donc un vide. Nous admirons surtout sa méthode. Nous admirons d'abord qu'il en ait une. Par là, il nous change

الأَخطل

أهاجيُّ منتخَبة

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربيّة في جامعة القديس يوسف
وفي داري المعلّمين والمعلّمات

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

١٩٣٩

الاخطل

٦٤٠ ؟ – ٧١٠ ؟

حياته

في خلافة عبد الملك

بلغنا بحياة الأخطل الى خلافة عبد الملك بن مروان ؛ بعد ان لخصنا ما يُعرف عن قبيلته ودينه، ومولده في الحيرة حوالى السنة ٦٤٠ ، ونشأته في العراق والشام، وزواجه . ثم اشرنا الى اتصاله بالامويين وهجائه الأنصار ، ونزوله دمشق و« البوادي » الاموية في الشام على عهد معاوية ويزيد[١] .

وها اننا نقف به في بلاط عبد الملك ، مقدّمين لمحةً في حروب قيس وتغلب ، ذاكرين ما كان للشاعر من أثر فيها ، وفي موقف الخليفة منها :

ايام قيس وتغلب

كان من نتائج المعركة الحاسمة في مرج راهط ان انتقلت الخلافة الى المروانيين ، ففاز بها مروان بن الحكم ، والد عبد الملك ، وقُتل الضحّاك ابن قيس الفهري وتبدّد حلفاؤه : فمنهم من بايع كعُمير بن الحُباب ، ومنهم من هرب على نفوره وعدائه كزُفر بن الحرث الذي لجأ الى قلعة قرقيسيا على ملتقى الفرات والخابور فتحصّن فيها .

١) اطلب مقدّمة الجزء السابق من « الروائع ».

ولم تكن هـذه « الأيَّام » او المعارك الَّا فصلًا من تلك الحروب المتتابعة منذ الجاهلية بين القيسيين او المضريين ومنهم عدنان ، وغطفان ، وسُليم ، وهوازن ؛ واليمنيين وقد نصروا الدولة الناشئة .

اما التغلبيُّون ، واكثر منازلهم بين الخابور والفرات ، فكانوا يقاسون الشدائد ، صابرين اول الأمر . الى ان كثرت عليهم تعدّيات بني سُليم ، وعلى رأسهم عُمير بن الحُباب الذي خان عهدَه الاول لمروان ، وعهدَه الثاني لعبد الملك ، وعاد الى الجزيرة يعيث فيها ، مغيرًا على اليمنيين والتغلبيين جميعاً . فحشدت تغلب رجالَها واستعدّت للمواقع ، فكانت الأيام التي يكثر ذكرها في الشعر الاموي ، ولاسيما شعر الأخطل وجرير[1] :

يوم ماكِسين

واولها يوم ماكسين على شاطئ الخابور ، يبعد مسيرة يوم عن قرقيسيا . كان اسُليم على تغلب انتصر فيه عمير انتصارًا تامًّا . فقُتل من التغلبيين نحو خمسمائة رجل ، وجُرح الكثيرون . وكان من جملة الأسرى القُطامي الشاعر ، وهو ناشئ بعد . بيد ان افظع ما جرى في تلك المعركة ما قام به رجل من بني قُشير اسمه الندار . فانه اخذ ينادي : « انا جار لكل حامل اتتني فهي آمنة . » فاخذت النساء الحبالى من تغلب يأوين اليه مستأمنات ، وقد كان البعضَ يتظاهرن بالحمل فيلتجئن الى المجير غير متصوّرات الغدر . حتى اذا اجتمع منهنّ العدد الكثير هجم عليهنّ القيسيُّون

---

١) راجع في اخبار هذه الحروب : ابن الأثير : الكامل ٤ : ١٢٩ . . . ؛ الاغاني ٢٠ : ١٢٠ . . . ؛ الديوان ٣٦٢ . . . ؛ والتكملة لشعر الاخطل عن نسخة طهران الخطية ، للاب صالحاني ، بيروت ، ١٩٣٨ ، ص ١٧ . . .

فبقروا بطونهن .وقد تجرأ احد شعرائهم، وهو الصفّار المحاربي، ان يفخر بهذا الغدر فقال :

بقرنا منكم الفي بقيرٍ فلم نترك لحاملةٍ جنينا

فردّ عليه الأخطل ردًّا شديدًا .

يوم الثّرثار الاول

وكانت الوقعة الثانية على شاطئ الثرثار ؛ انتصر فيها التغلبيون وحلفاؤهم من بني ربيعة كشيبان والنمر بن قاسط ، فأخذوا ثأرهم ، وقتلوا من قيس « مقتلة عظيمة » ، وتجاوزوا ذلك الى مجازاتهم السنّ بالسن والعين بالعين ، « فبقروا بطون ثلاثين امرأة »[1] . وكان هذا يوم الثرثار الأول[2] .

يوم الثرثار الثاني – يوم الفُدَين . . .

وتتابعت المعارك فيوم لتغلب ، وايّام لقيس . واشهرها يوم الثرثار الثاني ، انهزمت فيه تغلب .ويوم الفُدين ، وهو غارة قام بها عمير بن الحُباب على قرية الفُدين بشاطئ الخابور ، فغنم وقتل عددًا من التغلبيين.

وكذلك كان من انكسارات تغلب يوم السُكَير ، على الخابور ايضاً . ويوم المعارك بين الحُضر ، وهي مدينة بإزاء تكريت ، والعقيق من ارض الموصل ؛ ويوم البليخ قرب الرقّة . وهناك ايّام تناصفوا فيها فلم ينجل النصر لأحد ، اشهرها يوم لِبّي فوق تكريت .

يوم الحَشّاك

امّا الأيام التي ظهرت فيها تغلب فاشهرها يوم الحشّاك ، وهو تلّ

---

١) ابن الاثير : الكامل ٤ : ١٣٠ ؛ والتكملة ٢٣

٢) ذكره الأخطل مرّات ؛ الديوان ٢١

قريب من الشرعبيّة . وفيه اجتمع على تغلب عمير بن الحُباب وزُفر بن الحرث . فجمعت تغلب حاضرتها وباديتها ؛ وتعاقد الرجال ان لا يفرّوا ، وقد جعلوا نساءهم من ورائهم اشارة الاستقتال . فكانت معركة شديدة دامت ثلاثة ايام فرّ في اثنائها زفر بن الحرث ، وقتل التغلبيون عمير بن الحُباب[1] ، وبعثوا برأسه الى الخليفة عبد الملك . فسُرّ به . ولم يغفل الأخطل عن الافتخار بهذا الظفر ، ولا عن الإدلال بنصرة قومه للامويين .[2]

يوم الكُحَيل

وكان مقتل عُمير شديد الأَثر في القيسيين جميعاً فتداعت قبائلهم . وقام زُفر بن الحرث يخطب فيهم محرّضاً . ثم سارت الجيوش على التغلبيين ، وهم بالكُحَيل ، في جانب دجلة الغربي . فكسروهم وقتلوا منهم . واضطرّ بعضهم الى الهرب بطريق النهر ، فغرق خلق كثير[3] .

يوم البِشر

ودامت المناوشات متتابعة الى ان كان يوم البِشر ، وهو اشدّ الايام على تغلب . وذلك ان قبائل قيس ، كانت لا تزال حاقدةً تنوي الإثآر لقتلاها من التغلبيين ، وكان الاخطل لا يزال يفتخر ويعيّر اعداءه ، حتى كان يوماً عند عبد الملك فدخل عليه الجحّاف بن حكيم من زعماء قيس . فقال عبد الملك للاخطل أتعرف هذا ؟ قال : ومن هو ؟ قال : الجحّاف . فقال الاخطل :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائرٌ بقتلى أُصيبت من سُليمٍ وعامرِ

---

١) الديوان ٢٦٧-٢٦٨ ؛ التكملة ٢١-٢٥

٢) راجع « خفّ القطين » في الروائع ٣٤ : ١٨-١٩ ، الابيات ٥١-٥٦

٣) ابن الاثير ٤ : ١٢٢ ؛ التكملة ٢١

فخرج الجحّاف مغضباً . فأثار قومه . ثم جمع نحو الف فارس ، فبيّت بهم التغلبيين ، وهم بالبِشر في الجزيرة ، غربيّ الفرات . فقتل منهم خلقاً كثيراً . وكان الاخطل هناك فأُسر ، وعليه عباءةٌ وسخة ، فظُنّ عبداً فأُطلق . وخاف ان يُعرف فاختبأ في جبّ الى انتهاء المعركة . وقد قُتل فيها ابنه ابو غياث[1] .

وخاف التغلبيون ان يعرف الاعداء عدد القتلى فيعيّروهم بكثرتهم ، فاحرقوا الجُثث . اما الجحّاف ، وقد خاف انتقام تغلب ، وموآزرة السلطة الاموية لها ، فهرب الى بلاد الروم . وكأن عبد الملك تأخر في الانتصار للتغلبيين . وآلم الأخطلَ ان يرى هذا الإبطاء ، بعد ما قاسى قومه في خدمة الدولة ، فدخل على الخليفة يذكّره بتلك الفاجعة وينفّس كربته بشيء من التذمّر يهدّد به الامويين ، بل قريش ، بالانفصال عن حزبهم ، وهو في سورة الغضب . فقال :

لقد اوقع الجحّاف بالبِشر وقعةً الى الله منها المشتكى والمُعوّلُ
فسائل بني مروان : ما بالُ ذِمّةٍ وحبلٍ ضعيف لا يزال يوَصَّلُ ...
فان لم تُغيّرها قريشٌ بعدلها ، يكن عن قريش مستمازٌ ومَرحَلُ .

فغضب عبد الملك وصاح : « الى اين يا ابن النصرانية ؟ » وكأنّ الاخطل شعر بتحرّج الموقف وبانه تجاوز الحدّ في الإدلال والتهديد ، فاسعفته البديهة المخلّصة فاجاب : « الى النار » . فسُرّي عن الخليفة وتبسّم[2] .

وظلّ عبد الملك حانقاً على الجحّاف المتردّد في بلاد الروم من طرابزندة الى قاليقلا ، والقيسيّة تتشفّع له بواسطة انصارها في البلاط ، ومنهم بشر بن مروان ؛ والخليفة لا يلين . حتى اتت الاخبار بان الروم ينتصرون على

---

١) الديوان ١٠ و٢٦٩ ؛ التكملة ١٨

٢) الديوان ١٠–١١

الثغور انتصارات قد لا يكون الجحاَف غريباً عنها [١] . فرأى عبد الملك ان يؤمنه . ثم عمل على مصالحة القيسيين واليمنيين . وحمّل الجحاَف دماء قتلى البِشر عقوبةً له . ولم يكن عند الجحاَف ما يفي بالديات فاتجه نحو العراق يسأل الحجاج . فاعانه في ذلك . [٢]

أثر الاخطل في إقرار الدولة الاموية

ومما يجدر بالذكر ان هـذه المعارك التي تفـانى فيها التغلبيون والقيسيون كان لها نتائج سياسية اوسع مجالًا واعمق اثرًا ، واهمها الإقرار بالخلافة للامويين . وذلك ان القيسيين كانوا بجملهم من معاكسي بني اميّة ؛ والتغلبيين خاصّة واليمنيّين عامّة من مناصريهم . واذًا فان مصلحة قوم الأخطل كانت تتفق ومصلحة الدولة المالكة ؛ كما كانت تتفق مصلحة زفر بن الحرث وعُمير بن الحُباب وزملائهما مع مصلحة ثوّار العراق ومشاغبي الحجاز من قبلهم . ولهذا فلا نبالغ اذا قلنا ان التغالبة عملوا بسيوفهم على اقرار سلطة الامويين ، كما عمل شاعرهم بلسانه على تأييد حقّ هـذه السلطة . نشر مآثرهم واعلن جدارتهم بحسن الادارة وضبط شؤون الملك :

شُمس العداوة حتى يُستقاد لهم   واعظمُ الناس احلامًا ، اذا قدروا [٣]

وهيأ افكار الجمهور للاقرار بحقهم الالهي :

ويومَ صفّين ، والابصـارُ خاشعةٌ ،   أمدّهم ، اذ دعوا ، من ربّهم مَدَدُ [٤]

---

١) ابن الاثير ٤ : ١٣٥

٢) الاغاني ١١ : ٦٠ ؛ الديوان ٢٧٠

٣) الروائع ٣٤ : ١٧ ، البيت ٤١

٤) الروائع ٣٤ : ٢٩ ، البيت ٢٢

فقام بما تقوم به الصحافة الموالية في عصرنا هذا[1] .

إدلاله على عبد الملك

وقد عرف له عبد الملك هـذا الفضل ، فاولاه من الاكرام اخلصه ، ومن العطاء اسبغه . حتى غدا الأخطل يدخل عليه متى شاء ، فيشق صفوف المنتظرين من كبار الدولة ، ورؤساء القبائل ، وعلى صدره صليبة الذهبي الوهاج ، ولحيته تنفض خمراً ، فيثير اعجاب البعض ، واشمئزاز البعض الآخر . وقد يقف من الخليفة موقف المدلّ المتطاول ، كالموقف التهديدي الذي ذكرناه على اثر معركة البِشر ؛ وكموقفه اذ دخل عليه ، والى جنب الخليفة زفر بن الحرث ، عدوّ التغلبيين ، فانشده ابياتاً تحمّس لها عبد الملك حتى ضرب صدر زُفر برجله فقلبه عن السرير .[2]

ومن هذه المواقف المدلّة ما جاء في الديوان[3] من ان عبد الملك حاول ان يدعو الأخطل الى الإسلام فقال له، إمّا جادّاً واما لاهياً : «لِمَ لا تُسلم يا أخطل ؟» فتململ الأخطـل ، وهو المعروف بتمسكه بدينه ، على قول صاحب الاغاني[4] ، ورأى ان يخرج السؤال مخرج المزح فقـال : « إن انت احللت لي الخمر، ووضعت عني صوم رمضان، اسلمت . » فجدّ عبد الملك وقال : « ان انت اسلمت ثم قصّرت في شيء من الإسلام

---

١) اطلب بحثنا في « دور النصارى في اقرار الخلافة الاموية » المشرق ٣٦ [١٩٣٨] ٨٨–٨٩

٢) الاغاني ٧ : ١٧٦–١٧٧

٣) الديوان ص ١٥٣–١٥٤

٤) الاغاني ٧ : ١٧٩

ضربت الذي فيه عنقك . » عند ذاك جدّ الاخطل متكلًا على تساهل الخليفة وقال ، نافياً عنه الصوم والتضحية ، والاذان ، والحجّ ، متشبثاً بالخمرة ، وبحضور القدّاس عند الفجر :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ عمري ، ولست بآكلٍ لحم الاضاحي ،
ولست بزاجرٍ عنساً بكورًا الى بطحاء مكّة للنجاحِ ؛ (١
ولست بقائمٍ كالعَير يدعو ، قبيل الصبح : « حَيّ على الفلاحِ ! » (٢
ولكني سأشربها شمولًا ، واسجد عند منبلج الصباحِ .

ولم يكن عبد الملك ليجدّ غاضباً لمثل هذه المداعبة . فجارى الأخطل في مزحه وقال : « وما بلغ منك الشراب ؟ » قال : « يا امير المؤمنين ، اذا شربتها فانت اهون عليّ من شِسع نعلي . » فقال : « قل فيه شعرًا والّا ضربت عنقك » فقال :

اذا ما نديمي علّني ، ثم علّني ثلاث زجاجات لهنّ هديرُ ،
خرجتُ اجرّ الذيل زهوًا ، كأنني عليك ، أميرَ المؤمنين ، أميرُ !

وظلّ على هذه الحظوة لدى الخليفة يمدحه فيبدع والخليفة من كبار ادباء عصره ، يتذوّق الشعر ويهتزّ للرائع منه . وقد رأيناه ، في صباه ، يفد من الحجاز الى الشام آملًا ان يجد من شعر النابغة ما لم يطّلع عليه . حتى بلغ من ميله الى هذا الشعر انه كان يورد احياناً ، وهو على منبر المدينة ،

١) لم يرد هذا البيت في الديوان . انما اخذناه عن الابشيهي : المستطرف ١ : ٩٧ ؛ والبغدادي : خزانة الادب ١ : ٢٢١ ، ولعلّ البيت موضوع لغاية .

٢) قد يكون في هذا البيت تلميح الى قول جُوَيرية بنت ابي جهل ، عدوّ النبي ، التي شبّهت بلالًا المؤذّن بالعَير ، عندما سمعته يدعو الى الصلاة يوم فتح مكة . راجع كتاب الدرّة المكللة في فتح مكة المشرفة ص ٤٧ ؛ ذكره Lammens, *Chantre*, p. 124, n. 3

بعض ابياته بدل الآيات القرآنية[١] . فاذا ادركنا ذلك ، لم نستغرب منه اعجابه بشعر الأخطل ، تلميذ النابغة ، ومقتفي اثره .

وقد اتصل شاعرنا بغير الخليفة من كبار الامويين ، ولاسيّما بشر بن مروان ، اخي عبد الملك ، والي البصرة الذي كثيراً ما كان يفد عليه الأخطل في البصرة ، وفي الكوفة خاصّة ، فيقيم عنده مدّة ، ويساجل الشعراء بين يديه ، ويجزل في مدحه كما يُجزل الامير في عطائه .

بعد وفاة عبد الملك

في تشرين الاول ٧٠٥ توفي عبد الملك . فولي الخلافة ابنه الوليد . والوليد امير اشدّ تقيّدًا بظاهر الدين من ابيه ، واعلق بالتقوى الخارجية والغيرة على مصالح الإسلام،واقلّ رغبةً في الادب والشعر،واضعف ثقافةً على الجملة،حتى انه كان يُلحن في كلامه احياناً[٢] . وكان النصارى قد اخذوا يفقدون شيئاً من حريأتهم السابقة ، منذ اواخر خلافة عبد الملك ، فيرون الضرائب الجديدة تتوالى عليهم ؛ ويُجبَرون على التصريح بعدد املاكهم من كرمٍ وزيتون بل بعدد ابنائهم ، كما يُستخرج من تاريخ البطريرك ديونيسيوس[٣] ؛ ويقاسون الاضطهاد في الولايات : في الجزيرة العليا على عهد واليها محمد بن مروان ، اخي الخليفة[٤] ؛ وفي المقاطعات الارمنية من بلاد

١) المسعودي : مروج الذهب (Barbier de Meynard) ٥ : ٢٨٠ ؛ واطلب *Jour. asiat.*, 1868, II, 252

٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (طبعة صالحاني) ١٩٥

٣) في السمعاني : المكتبة الشرقية ٢ : ١٠٤

٤) من مظاهر اضطهاده وظلمه انه قتل سيّد بني ثعلبة بن بكر لرفضة الديانة بالاسلام ، واحرق بعض زعماء الارمن في كنيستهم ، وقتل انسطاس بن اندراوس

فارس مدة ولاية الحجاج[1] ثم يرون نفوذهم يتضاءل في العاصمة نفسها ، منذ السنة ٧٠٠ خاصة ، وقد عرّب فيها عبد الملك دواوين الدولة ، اي جعل لغتها العربية ، فعزل كل من كان فيها من كتاب النصارى[2] . حتى كانت خلافة الوليد،فزاد هذا في ارهاقهم ، واقدم على ما لم يُقدم عليه ابوه ، فنزع من النصارى كاتدرائيتهم في دمشق وحوّلها الى الجامع الاموي[3] .

فما هو موقف الشاعر النصراني من هذه الدولة الجديدة ؟

كان للاخطل خصوم سياسيّون، ومنافسون شعراء ، وحسّاد متزلّفون الى السلطة ، طالما حاولوا الدسّ عليه لدى عبد الملك فلم يُفلحوا . حتى امكنتهم الفرصة في خلافة الوليد ، فعملوا على استغلال هذا العهد الحديث محاربين الشاعر في نصرانيته . نستنتج هذا من إعراض البَلاط عن « شاعر بني اميّة » ، ومن قلة قصائد الاخطل في الخليفة الجديد ، بل من بعض التلميحات المؤلمة في هذه القصائد القليلة التي كان ينشدها بحضرة الوليد في المواسم السنوية فقط . منها تلك الميمية التي يختمها بتعداد أفضال الأمويين عليه — بينما كان يعدّد افضاله على الأمويين في عهد عبد الملك ! — وبشكره لهم هذه الافضال . ثم بالاشارة الى اخلاصه منذ القدم للدولة المالكة قولًا وفعلًا . وكأنه يذكّر الخليفة بهذا الماضي المجيد دون ادلال

عامل الرها . راجع R. Duval, *Histoire d'Edesse*, 79.

١) من ظلم الحجّاج للنصارى انه منع انتخاب الاساقفة مدة ولايته كلّها .
اطلب تاريخ ابن العبري باللغة السريانية : Barhebaeus, *Chronic. Syria.*, 138

٢) البلاذري : فتوح البلدان ١٣٨

٣) راجع في ذلك : Lammens, *Le calife Walīd et le partage de la mosquée des Omayyades à Damas.* [*Études sur le siècle des Omayyades.*]

ولا تبجح ، بـل بعاطفة المخلص الذي يرى نفوذه متضائلاً وكلامه غير مسموع ، فيضطر الى الابتعاد عن البلاط ، موجساً من دسائس الوشاة ، خائفاً المستقبل المظلم . وهذا قوله الصريح :

بني أميّة ، قد أحدت فواضلُكم منكم جيادي ، ومنكم قبلها نعَمي[١] .
فان حلفت لقد اصبحت شاكرها ، لا أحلف اليوم من هاتا على أثم ...
وقد علمتم ، وان اصبحت نائيكم ، نصحي قديماً ، وفعلي غير متّهم ،
لقد خشيت وُشاة الناس عندكم ، ولا صحيح على الأعداء والكلم !([٢]

وله في مدح الوليد ابيات يشكو فيها « الغرامات التي نابت عليهم » . وكأنه يتكلم بلسان قومه ، بل بلسان النصارى جميعاً ، فيقول :

وإنا معشرٌ نابت علينا غرامات ومُضلعةٌ كؤودُ ؛
وعضّ الدهرُ والايامُ ، حتى تغيّر ـدك الشعرُ الجديدُ .([٣]

ولعلّ هذه الابيات من اواخر عهد عبد الملك اذ كان الوليد لا يزال وليّ عهد . فالشاعر يدعوه « ابن الامام » في البيت الثاني منها . وليست الابيات قصيدةً موسمية تقليدية التأليف . ومهما يكن من أمر فانها من الشواهد على قولنا ان التغلبيين خاصة ، والنصارى عامة ، بدأوا يشعرون باضطراب حالتهم منذ اواخر خلافة عبد الملك .

ومن مدائح الاخطل للوليد بائية طويلة يحلف فيها « بالله ربّ ستور البيت ذي الحُجب » ان الوليد انقذه ، وآمن نفسه واعطاه مالاً . . .[٤]

---

١) وقد كان يقول مُدلّا ، على عهد عبد الملك :
بني اميّة ، قـد ناضلت دونكم ابناء قوم هُمُ آووا وهم نصروا
(الروائع ٣٦: ١٧)

٢) الديوان ٢٦٦-٢٦٧ ؛ والروائع ٣٦: ٢٦-٢٧

٣) اي كلله الشيب : الديوان ٢٢٣.

٤) الديوان ١٨٥

ولنلاحظ هنا ان الشاعر لا يكاد ينظم قصيدة في الخليفة الجديد، الا ويحلف بالأيمان المعظّمة[١] انه مخلص، مستشهداً الله على صدق تعلّقه، وصحة قوله. كل هذا، مع ما هناك من التلميحات والاشارات الصريحة احياناً، يؤيد ما ذهبنا اليه من ايجاس الاخطل، وتقلقل مركزه في البلاط. وليس هذا بغريب في ذاك العهد الجديد.

وفاته

قلنا ان قصائد الاخطل في الوليد قليلة. وهي لا تتجاوز الاربع يذكر فيها الوليد «خليفةً»[٢] او «إماماً»[٣]، او «ملكاً»[٤]. فاذا انتبهنا لعادة الخلفاء. اذ ذاك من انهم كانوا يقيمون، كلّ عامٍ، موسماً يقصدهم فيه الشعراء فيمدحونهم[٥]؛ وان الأخطل — على شعوره بانهيار مركزه في البلاط وعلى كون الخليفة استبدل به عديّ بن الرقاع شاعراً رسمياً[٦] — لم يكن بامكانه إلا ان يجري على سابق العادة فيظهر في الموسم مادحاً الخليفة؛ كان لنا ثلاث او اربع قصائد حولية فثلاث او اربع سنوات يعيش فيها الاخطل على عهد الوليد. واذاً فلا مطعن في القول انه توفي نحو السنة ٧١٠، وهي الخامسة من خلافة الوليد. يثبت هذا ما ذكره صاحب الاغاني من ان عبد الملك — او الوليد بن عبد الملك وهو الصحيح — قال

١) اطلب في الروائع ٣٤: ٢٢–٢٧؛ ٢٧–٣٢؛ قصيدتين فيها الحلف الصريح وكذلك في الديوان ١٨٢–١٨٩.

٢) الديوان ١٨٥

٣) الروائع ٣٤: ٢٩

٤) الروائع ٣٤: ٢٢

٥) كما جاء في قول الفرزدق:

ستأتيك مني، كلّ عامٍ، قصيدةٌ محبَّرةٌ نوفيكها كلَّ موسمٍ

٦) الاغاني ٨: ١٧٩ ...

لجرير : فما تقول في الاخطل ؟ قال : « ما اخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . »[١]

اما رواية ابن عبد ربّه : « ان الاخطل سمر ليلةً عند امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك . »[٢] فليس لنا ما يؤيّدها . ولو ادرك الاخطل سليمان خليفةً لما سكت عن مدحه . ولعلّ لقب « امير المؤمنين » زيادة من صاحب العقد . فيكون الأصل ان الاخطل سمر عند سليمان بن عبد الملك ، قبل خلافته . وليس ما يمنع . . .

وكذلك يجب ان نفهم علاقات الشاعر بهشام بن عبد الملك . فان الاخطل لم يدركه خليفةً ، وان يكن قد تساجل بحضرته مع جرير والفرزدق كما يزعم الرواة[٣] ، فانما جرى ذلك في عهد ابيه عبد الملك ، او عهد اخيه الوليد على الأكثر . اما القصيدة التي يهجو بها الشاعر زيد بن منذر النمري ، الذي « كان على شرطة هشام » فالوجه فيها ان الأخطل هجا زيدًا المذكور قبل ان يعيّن على الشرطة .[٤]

توفي الأخطل بعد عمر طويل قد لا نخطئ اذا بلغنا به السبعين . وقد ذكر صاحب الاغاني انه « شيخ قد تحطّم »[٥] ، وانه « دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما ، وقد أسنَّ ونفد اكثر عمره . »[٦] وطالما ردّد

---

١) الاغاني ٧ : ٦٠

٢) ابن عبد ربه : العقد ٣ : ١٧٠

٣) الديوان ٢٦٠ ؛ واطلب ايضاً الديوان ٢٣٨

٤) التكملة ٤٣

٥) الاغاني ٧ : ١٧٣

٦) الاغاني ٧ : ٣٨

الشاعر نفسه ان الشيب شمل رأسه ولحيته.[1] الّا ان قريحته لم يشملها الوهن، ولم يتداخلها الضعف. تشهد بذلك آخر قصائده في مدح الوليد، وهي لا تقلّ في شيء من قوّة التصوير وسعة الخيال، ودقة الوصف، وضبط التعبير، وشدّة الأسر، عن «خفَّ القطين» وغيرها من قصائد الكهولة الناضجة. وتشهد بذلك ايضاً همته المندفعة في هجاء جرير حتى آخر حياته، بل حتى فراش الموت، اذا صحّ ما ورد في وصف ذاك الموقف الاخير، والاخطل يستعدّ للانتقال من هذه الفانية، فيقول له احد العُوّاد: «يا ابا مالك ألا توصي؟ فيقول:

أوَصي الفرزدقَ، قبل المات، بأمِّ جريرٍ وأعيارها.

ثم يشعر بقرب النزاع فينظر نظرة المودّع اصدقاءه، المتحدّي اعداءه وحسّادهُ، فيقول:

وزار القبورَ ابو مالكٍ برغمِ العُداة وأوتارها[2]

ويكون هذا آخر ما ولّدته قريحة الاخطل. اما مكان وفاته فلا نعرف عنه شيئاً. وقد يكون توفي بين قومه في الجزيرة.

واما المعروف الأكيد فهو ان شاعرنا توفي على نصرانيته التي ظلّ متعلّقاً بها مجاهراً بخضوعه لها طولَ حياته، كما سنرى. صرّح بهذا صاحب خزانة الأدب[3]، كما صرّح به جرير في هجائه عدوّه بعد وفاته:

زار القبورَ ابو مالكٍ فكان كألأَمِ زوّارها...
تنوح بنات ابي مالكٍ ببوق النصارى وزمّارها...[4]

---

١) واطلب ايضاً الاغاني ٧: ١٦٩

٢) الديوان ٢٧٢

٣) عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب ١: ٢٢١

٤) ديوان جرير ٢٢٠–٢٢١؛ ديوان الاخطل ٢٧٢ ٢٠٢–٢٠٤

اخلاقه وصفاته

هيئته – بدويته

يؤخذ من المعلومات المتفرّقة عن الأَخطل، ومما في ديوانه من تلميحات قليلة انه كان اشهب اللحية، يجدل شعره المتدلّي ضفيرتين[١]، على زيّ البدو، وقد ظلّ متخلّقاً باخلاقهم، حتى في بلاط دمشق الحضري بل في بيوتها وبساتينها الآخذة من المدنية بالقسط الوافر[٢]. ولكنه كان ينفر، في اعماق نفسه، من هذه المدينة التي تهدّد البدو بمناخها الوطب، فيوجسون من حمّاها وموِمها[٣]. فلا يستقرّ، اذا ما نزلها، الّا لدى الخمور الرفيعة في بيت آل سرجون، او في بعض الحانات، ليستقبل شمس الصباح، مرتعشاً من البرد، مجلّلاً بازاره، وأمامه الكأس ترتقص شرراً تحت وقع الأشعة الدافئة المحيية[٤].

حبّه للخمر

يشرب الخمر للاستدفاء، ويشربها لطرد الهموم، ويشربها لاستدعاء شيطان شعره، ويشربها لتفخيم صوته، والرفع من إنشاده[٥]. فهي الدواء المادي والادبي. وكثيراً ما نصح مريديه باستعمال الدواء.

جاءه المتوكل الليثي الشاعر يوماً، وهو في الكوفة، مع رفيق له،

---

١) الاغاني ٧: ١٨٧

٢) راجع الروائع ٣٦: يا

٣) ويقصد بالموم ما نعرفه اليوم بالملاريا؛ الديوان ١٢١

٤) الاغاني ٧: ١٧٣؛ الديوان ٣٣٩

٥) الاغاني ١٠: ٤؛ ٧: ١٧٥

فقالا : « انشدنا يا ابا مالك » . فقال : « اني لخاثرٌ يومي هذا . » فقال المتوكل : « انشدنا ، ايها الرجل ، فوالله لا تنشدني قصيدة الّا انشدتك مثلها او أشعر منها من شعري » . قال : « ومن انت ؟ » قال : « انا المتوكل » . قال : « انشدني ، ويحك ، من شعرك ! » فانشده المتوكل ابياتاً حسنة السبك ولكنها باردة جافّة . فقال له الاخطل : « ويحك ، يا متوكل ، لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس ! »[1]

عفّة لسانه

بيد ان الشرب لم يكن ليضعضع ذهنه ، وان كان يزهوه احياناً فيخال نفسه « اميراً على امير المؤمنين »[2] ؛ ولم يكن ليحطّه الى مصافّ السكّيرين ، فيتبذّل ، ويبذو ، ويفحش قولًا وفعلًا . بل كان يحافظ على تصوّنه وعفافه ما امكن . لا يُسيم لسانه في مراتع الإقذاع ، ولا يحم شعره بتلك المفردات البذيئة التي تظلّ لطخات عار في شعر زميليه الفرزدق وجرير خاصّة . يحافظ على عفّة لسانه[3] ، كما يحافظ على صحّة مبدإه .

اخلاصه لمبدإه في السياسة والدين

وقد تجلّى هـذا المبدأ في السياسة بنصرة الامويين ، وفي الدين بالتمسّك بالنصرانية .

اما في السياسة فلم يضطرب مرةً واحدةً في اخلاصه لبني اميّة ، ولم يتردّد يوماً في التضحية بكل شيء : بامواله ، وبنفسه ، وبقبيلته جميعاً ،

---

١) الاغاني ١١ : ٣٩-٤٠ ؛ عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ٣ : ٦١٧ ؛ الديوان ٣٢٨-٣٢٩

٢) الديوان ١٥٤

٣) الاغاني ٧ : ١٧٨

متعرّضين لسخط الناقين على الدولة من علويّين ، وأنصار ، وزبيريين في سبيل المحافظة على « أمويّتهم » . وقد مرّ على هذا الاخلاص كلام كثير في موقف الشاعر من بلاط الأمويين .

واما في الدين فتعلّق الاخطل بنصرانيته مشهور . كان متمسكاً بعقائدها ، خاضعاً لرجال الدين فيها ، وان لم يخضع دائماً لنواهيها ، آخذا بتقاليدها وعاداتها حتى ما كان منها بريئاً من الاصول الدينية ، كما حصل له اذ مرّ الاسقف بجيّة ، فصاح بامرأته ، وكانت حاملًا : « الحقيه وتمسّحي به . » فعدت لتتمسّح به طلباً للبركة . الّا انه فاتها .[1]

وفي مرويات الاغاني عن خضوع الأخطل لرجال الدين ما نقله عن ابي عبد الملك قال : « رأيته بالجزيرة ، وقد شكي الى القس ، وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصيء كما يصيء الفرخ فقلت له : اين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يا ابن اخي اذا جاء الدين ذللنا . »[2]

وكثيراً ما كان المهجوّون يشكون الأخطل هاجيهم الى القسيس فيهدّده هذا ، ويضربه ، وقد يسجنه . حدّث اسحق بن عبدالله من ولد عبد المطلب قال : قدمت الشام ، وانا شاب ، مع ابي . فكنت اطوف في كنائسها ومساجدها . فدخلت كنيسة دمشق ، واذا الاخطل فيها محبوس . فجعلت انظر اليه . فسأل عني فأُخبر بنسبي . فقال : « يا فتى انك لرجلٌ شريف واني اسألك حاجة » . فقلت : « حاجتك مقضيّة . » قال : « ان القس حبسني هنا فتكلّمه ليخلّي عني . » فأتيت القسّ فانتسبت له . فرحّب وعظّم . قلت : « انّ لي اليك حاجة . » قال : « ما حاجتك . » قلت : « الاخطل ، تخلّي عنه . »

---

١) الاغاني ٧ : ١٨٣   ٢) الاغاني ٧ : ١٧٩

قال: «اعيذك بالله من هذا. مثلك لا يتكلّم فيه. فاسق يشتم اعراض الناس ويهجوهم.» فلم ازل اطلب اليه حتى مضى معي متكئاً على عصاه. فوقف عليه ورفع عصاه وقال: «يا عدوّ الله، اتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات» وهو يقول: «لست بعائد ولا افعل» ويستخذي له. (قال) فقلت له: «يا ابا مالك، الناس يهابونك، والخليفة يكرمك، وقدرك في الناس قدرك، وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له.» (قال) فجعل يقول لي: «انه الدين انه الدين!»[1]

ولا عجب ان يشدد القسيس على الشاعر هـذا التشديد، وقد كان يصل اليه الكثير من اهاجيه وتهكّماته التي، وان لم يبلغ فيها الإقذاع الجريري او الفحش الفرزدقي، فانها كانت على قسطٍ من اللذع والإيلام. فيشكوه المصابون الى رئيس دينه، فيثور غضبه، ويتقـد غيظه، اذ يقابلها بما يتعوّده القس من تصوّن اللسان والتحفّظ عن الكلام الباطل. قلنا: وما كان عساه ان يصنع لو شُكي اليه جرير او الفرزدق؟

ولم يُغفل جرير ان يعيّر الأخطل بهذا الخضوع، وبنصرانيّته عامةً، كما عيّره «بوقوفه بين يدي القسيس لأخذ القربان.»[2] وهو الدليل على ان الأخطل كان يقوم بشعائر نصرانيته غير هيّاب ولا وجل؛ كما كان يحمل صليبه الوهّاج ظاهراً على صدره في جميع مواقفه، حتى امام الخليفة. وبهذا لقّب «ذا الصليب».[3] وكما كان يدافع عن نصرانيّته بالاجوبة المسكتة اللاذعة احياناً. حدّث أبان البجلي قال: مرّ الأخطل بالكوفة،

---

١) الاغاني ٧: ١٨٢–١٨٣

٢) محاضرات الادباء ١: ٥٤؛ الديوان ١٢٢ و٢٢٧

٣) الديوان ٢٢٧

في بني رُؤاس، ومؤذنهم ينادي بالصلاة. فقال له بعض فتيانهم: ألا تدخل يا ابا مالك فتصلي؟ فقال:

أُصلي حيث تدركني صلاتي: وليس البرُّ عند بني رؤاس! [1]

وسمع هشام بن عبد الملك الأخطل، وهو يقول:

واذا افتقرت الى الذخائر، لم تجد ذخرًا يكون كصالح الاعمال! [2]

فقال: «هنيئاً لك، ابا مالك، هذا الإسلام!» فقال له: «يا امير المؤمنين، ما زلت مسلماً في ديني.» [3]

وقد ذكرنا ما كان من الاخطل، عندما عرض عليه عبد الملك الإسلام. فليُراجع. [4]

مركزه ومنزلته

ولم يكن الأخطل ليمضي في التظاهر بنصرانيته في تلك الدولة المسلمة، لولا مركزه الوطيد من الامويين، وحظوته لدى الخليفة عبدالملك. وهو ما دلّنا عليه غير مرّة. وهذا المركز العالي انال شاعرنا المنزلة الرفيعة في نظر خصومه وبني قومه على السواء.

اما خصومه فكانوا يسكتون على مضض اذ يرون تقريب الخليفة له، والناس على دين ملوكهم، فيسكت بعضهم بعضاً، فاذا قال رجل لابي عمرو: يا عجبا للأخطل نصراني كافر يهجو المسلمين، اجابه ابو عمرو:

---

١) الاغاني ٧: ١٨٤

٢) الديوان ١٥٨

٣) الاغاني ٧: ١٨٢ — والصواب ان يحذف لقب «امير المؤمنين» لان هشاماً لم يكن خليفةً اذ ذاك. راجع ما تقدّم في ذكر وفاة الاخطل.

٤) ص: ز — ح.

« يا لكع، لقد كان الأخطل يجيء وعليه جبة خز وحرز خز، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب، تنفض لحيته خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن. »[1] ولقد كاد جرير « المسلم » يُصبح مطيّة « النصراني الكافر » يوماً، لولا ما كان من تدخل اهل المجلس في حضرة عبد الملك. وذلك ان الاخطل مدح الخليفة، وكان واجدًا على جرير، وجرير عنده، فصاح عبد الملك : « أجدت ! انت مادحنا، وانت شاعرنا، اركبه ! » قال جرير : فرمى بردائه، وكشف قميصه على منكبيه، ووضع يده على عنقي. فقلت: « يا امير المؤمنين، النصراني الكافر لا يظهر على المسلم ولا يركبه. » فقال اهل المجلس : صدق يا امير المؤمنين. فقال : دعه. وانفض المجلس. »[2]

واما قومه فكانوا لا يصدرون الّا عن رأيه. وكثيرًا ما شفع لافرادهم لدى الخليفة، بل كثيرًا ما شفع لغير افراد قبيلته من النصارى. وهذه قبيلة بكر نفسها « كانت اذا تشاجرت في شيء رضيت بالاخطل. »[3] وكأنها اقامته قاضياً تعرض عليه مشاجراتها في ساحة المسجد او فِناء الكنيسة.

فكاهته ونكته اللاذعة

ولم تكن صفة القضاء لتمنع عنه مرح الشاعر، وتهكّم الهجّاء، ونكتة الخبير العابث. وقد رافقته هذه النكتة اللاذعة طول حياته؛ كما قد يشهد ذاك الثقيــل الذي فاجأ الاخطل، وهو على الشراب

---

١) الاغاني ٧ : ١٧٧–١٧٨
٢) الديوان ٣٥٢–٣٥٣
٣) الاغاني ٧ : ١٧٩

يتحدث مع احدى النساء . فلم ينصرف الّا بالهجاء الأليم[1] . وكما قد تشهد ام زنبة ، لو كان بامكانها ان تدرك الهجو اللطيف المغلّف بالمدح الزور . وتفصيل الخبر ان ام زَنْبَة امرأة كان الجحّاف قـد قتل اولاداً لها بالرُّحوب ، في خدمة عبد الملك . فدفع عبد الملك تعويضاً لأهل من قُتل في سبيله بتلك المعركة . وهو تعويض ضئيل . الا انه كان يكفي مثل تلك العجوز . ولأمرٍ ما غفل الدافع عنها . فالتجأت الى الاخطل ليشفع لها لدى السلطان فينيلها ما انال غيرها من المنكوبين . فنجح الأخطل ، على ما يظهر ، ونال لها من الخليفة شيئاً من المال . ثم اشتدّ ظمأه الى الخمر ، ولا نقد معه الّا مال ام زنبة . فشرب به . واخذ يماطل صاحبته . حتى ادركت ان لا سبيل الى تحصيل شيء من الشاعر . فترفّعت عن المادة مرغمة ، ورأت ان تستبدل بها ما يكون افضل وابقى على الدهر . فقالت للاخطل : « أتأكل مالي وتشرب به ، ولا تمدحني كما تمدح الناس ؟ » فنظم فيها قوله :

اذا ذُكر النساء بيوم خيرٍ ، فنامي ، امَّ زَنْبَ ، ولا تُراعي !

يريد انه ليس لك في الخير شيء . فظنّت انه مدحها . واهتزّت نفسها للعطاء ، فقالت : « يا ابا مالك ، خذ ابن الفلانة ـــ تعني ناقةً لها ـــ فاشرب به . »[2]

اما شعر الاخطل فهو موضوعنا في مقدمة الجزء المقبل .

---

١) التكملة ٦٢

٢) التكملة ، ٦٢ – واطلب مقالنا في البشير ، ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ : « معلومات جديدة عن شاعر قديم . »

من النقائض

هجو قيس عيلان

قالها الاخطل مخاطباً عبد الملك بن مروان ، بادئاً بالغزل التقليدي (١-٥) منتقلاً الى هجو قبائل قيس عيلان من بني العجلان وبني بدر (٥-١٤) مشيراً الى انتصار قومه التغلبيين على تلك القبائل ، ولاسيما سليم وعامر ، اذ قتلوا عميدهما عُمير ابن الحباب وحملوا رأسه الى الشام (٤٥-٤٧) ، وهرب ابن بدر متكلاً على سرعة فرسه (١٤-٢٢) . وقد ختمها مهجاً عبد الملك على الاعداء ذاكراً بعض مفاخر التغلبيين ، معرّضاً بنُفَيع بن صفّار المحاربي . والقصيدة من النقائض ، نقضها قيع المذكور . وهي مشهورة لما فيها من قوّة النفس ودقّة الوصف في هرب ابن بدر خاصّة (١٤-٢٣) :

١ ألا يا اسلمي ! يا هندُ ، هندَ بني بدرِ ،
وإن كان حيَّانا عِدًى ، آخرَ الدهر ؛[1]

وان كنتِ قد اقصدتني ، اذ رميتني
بسهمَيكِ ، فالرامي يصيدُ ، وما يدري .[2]

---

١) حيَّان : مثنى حيّ . عِدًى : اعداء او متباعدون ؛ والمدى ايضاً التباعد ، على أن المقصود المعنى الاول ، اي المداوة ، لان هند المذكورة كانت قيسية من بني بدر من فزارة ، وهم اعداء التغلبيين ، كما سيرد في هذه القصيدة .

٢) اقصد السهم : اصاب فقتل . فالرامي : وفي رواية : والرامي . يصيد : وفي رواية : يصيب . وما يدري : قد يكون من درى : علم ، او من درى وأدرى : اتخذ دريئة للصيد ، اي ستراً يرمي الطريدة من ورائه . فيكون المعنى ان الرامي يصيد دون ان يستتر .

أسيلةُ مجرى الدمع ؛ أمّـا وِشاحها
فجارٍ ، وأمَّا الحِجل منها فما يجري .[1]
وكنتم ، اذا تنأونَ عنا ، تعرّضت
خيالاتـكم ، او بتُّ منكم على ذَكرِ .

٥ لقد حملت قيسَ بن عَيلانَ حربُنا
على يابس السِيساء ، محدودِب الظهرِ ؛[2]
وقد سرّني من قيس عيلان أنني
رأيتُ بني العَجلان سادوا بني بدرِ ![3]
وقد غبَر العَجلان حيناً ، اذا بـكى
على الزاد ، ألقته الوليدة في الـكَسرِ ،[4]
فيصبح كالخُفّاش ، يدلك عينه ؛
فقُبّح من وجه لئيم ، ومن حَجرِ ![5]
وكنتم ، بني العجلان ، ألأمَ عندنا ،
واحقرَ من أنْ تشهدوا عالي الامرِ ؛

---

١) وشاحها جارٍ : اي ضامرة الكشحين . الحجل : الخلخال . ما يجري : اي انها ممتلئة الساقين . وغلظ الساق من مظاهر الجمال عند العرب ، على ما يظهر ، وقد تردّد في قول شعرائهم .

٢) السيساء : فقار الظهر ، اراد : حملتهم على امر صعب .

٣) بنو العجلان : العجلان بن عبدالله بن كعب بن ربيعة ، من قيس عيلان ؛ بنو بدر : منهم كذلك . والمراد ان الاذناب صارت قادة للرؤوس في قيس عيلان .

٤) غبر : بقي . الكسر : جانب البيت .

٥) الحجر : محجر العين .

١٠ بَني كلِّ دَسماء الثياب كأنما
طَلاها بنو العَجلان من حُمَمِ القدرِ ؛ (١)
ترى كَعبها قد زال من طول رعيها ،
وَقـاحَ الذّنابى بالسَّوِيّة والزِّفرِ . (٢)
وان نزل الاقوام منزل عفّةٍ ،
نزلتم ، بني العجلان ، منزلة الخُسرِ . (٣)
وشاركت العَجلان كعباً ، ولم تكن
تُشارك كعباً في وفاء ولا غدرِ . (٤)
ونجّى ابنَ بدر ركضُه من رماحنا ،
بنضّاحةِ الأعطاف ، مُلهِبةِ الحُضرِ ؛ (٥)

---

١) دسماء الثياب : التي يعلو ثيابها الوسخ والدنس . الحُمم : ج . حُمَّة : الفحم والرماد ، واراد السواد اللاصق بالقدر .

٢) رعيها : اي رعيها للماشية . يصف نساءهم بانهنّ يخرجنَ في رعاية المواشي حتى يتعبن وتتجرّح كعابهنَّ . الذنابى : العجز . قاح الجرح : صار فيه القيح ، او سال منه قيحه . السوِيّة : المركب من مراكب الإماء والمحتاجين ؛ القتب المعرّى . الزِّفر : الحِمل . يريد : لكثرة حمل هؤلاء النسوة القُرَب والاحمال المختلفة ، ولكثرة ركوبهنّ المراكب الخشبيَّة المعرّاة ، وهي مراكب الاماء ، تجرّحت اعجازهنّ وسال منها القيح .

٣) الخُسر : الخُسران : اراد به نقصان حسبهم .

٤) كعب : كعب بن ربيعة . — اراد : انهم يدّعون لكعب على غير نسب .

٥) ابن بدر : من فزارة . نضّاحة الاعطـاف : الفرس التي تنضح اعطافها بالعرق . الاعطاف : ج . العِطف : مرجع العنق الى عُجب الذنَب . ملهِبة الحُضر : شديدة الركض . من ألهب الفرسُ : اضطرم جريُه ، والاصل من لهيب النار .

١٥ اذا قلتُ: نالته العوالي ، تقاذفت
به سَوحَقُ الرجلين ، صائبةُ الصدرِ ؛ (١)
كأنهما ، والآلُ ينجاب عنهما ،
اذا انغمسا فيه ، يعومان في غَمرِ ، (٢)
يُسِرّ اليها ، والرماح تَنوشه :
فِدًى لك أمي ، ان دأبتِ الى العصرِ . (٣)
فظـلّ يُفدّيها ، وظلّت كأنّها
عُقابٌ دعاها جُنح ليلٍ الى وكرِ ؛
كأنّ بطُبْيَيْها ومجرى حِزامهـا
أَداوَى تَسُحّ الماء من حَوَرٍ وُفرِ ؛ (٤)
٢٠ وظلّ يجيش الـمـاء من متفصّد
على كل حال من مذاهبه يجري . (٥)
فأقسمُ لو أدركنه ، لقذفنَـه
الى صعبةِ الارجاء ، مظلمة القعرِ ، (٦)

---

١) تقاذفت : ترامت به وتباعدت . سوحق الرجلين : طويلتهما . صائبة الصدر : سريعة المرّ ، قاصدة في استوائها .

٢) كانهما : يعني ابن بدر وفرسه . ينجاب : ينكشف .

٣) تنوشه : تأخذه .

٤) الطُبي : الثدي . أداوى : ج. إداوة : إناء صغير من جلد . الحور : نوع من الجلد المدبوغ . الوفر : ج. وفراء : الضخمة ؛ وفي رواية : وُقر .

٥) يجيش : يسيل ، يتحلب . متفصد : متشقق بالماء . — اي : وظلّت الفرس ترشح عرقاً .

٦) صعبة الارجاء . . . : صفة للبئر ، اراد بها القبر .

فوسّد فيهـا كفّه ؛ او لحجّلت
ضباعُ الصحارى حوله ، غيرَ ذي قبرِ .[1]

...

لَعمري ! لقد لاقت سُليمٌ وعامرٌ ،
على جانب الثرثار ، راغيةَ البَـكرِ ،[2]
٢٥ فطـاروا شِقاقاً فرقتين : فعامرٌ
تبيع بنيهـا بالخِصاف وبالتمرِ ؛[3]
وأمـا سُليم فاستعاذت ، حِذارَنا ،
بحرّتها السوداء ، والجبـل الوعرِ .[4]
تنقّ بلا شيء شيوخُ محـاربٍ ،
وما خلتها كانت تريش ولا تبري ،[5]
ضفادع ، في ظلماء ليل ، تجاوبت ،
فدلّ عليها صوتُها حيَّـةَ البحرِ .
ونحن رفعنا عن سَلولٍ رماحَنـا ،
وعمداً رغِبنا عن دمـاء بني نصرِ .[6]

---

١) لحجّلت : لاسرعت .
٢) لاقى راغية البَكر : اي الشؤم والشدة ، اشارة الى رغاء بكر ثمود الذي كان سبب هلاك القبيلة . وهو من الامثال العربية . الثرثار : نهر من سواعد دجلة .
٣) الخصاف : ج . خصفَة : القفة تعمل من الخوص للتمر ونحوه .
٤) حذارَنا : خوفاً منّا . الحرّة : الارض البركانية ، ذات الحجارة السوداء .
٥) محارب : قبيلة من قيس عيلان ، ومنها نفيع بن صفّار الشاعر الذي هجوه الأخطل . — المعنى انها تصطخب وتنقّ كالضفادع ، ولا يمكنها ان تضرّ .
٦) سلول : من بني معاوية بن بكر بن هوازن عُرفوا بأمّهم سَلول . نصر :

٣٠ ولو ببني ذُبيان بَلّت رماحُنــا ،
لقرَّت بهم عيني ، وباء بهم وِتري ! [1]
شفى النفسَ قتلى من سُليمٍ وعامرٍ ،
ولم تشفها قتــلى غنيٍّ ، ولا جَسرٍ ، [2]
ولا جُشَمٍ ، شرِّ القبــائل ، انها
كبَيض القطا ، ليسوا بسود ولا حمرِ . [3]
وما تركت اسيافنا ، حين جُرِّدت ،
لاعدائنا قيس بن عيلان من عُذرِ .

. . .

٣٥ وأدرك علمي في سواءةَ انهــا
تقيم على الاوتار والمشرب الكدرِ . [4]
اعنّي ، امــير المؤمنين ، بنائلٍ
وحسنِ عطاء ، ليس بالريّث النزرِ ؛ [5]
وانت اميرُ المؤمنين ، ومــا بنا
الى صلح قيس ، يا أبنَ مَروان ، من فقرِ .

من بني معاوية ايضاً — يريد: تركنا قتلهم لذلّهم.

١) ذبيان: جدّ قبيلة مشهورة من غطفان . بلّت : استمسكت وعلقت . باء بهم وتري: اصاب شفاء .

٢) سليم وعامر: من اشراف قيس عيلان . وليس مثلهم غنيّ بن أعصُر وجَسر ابن محارب .

٣) جُشم: من اعجاز هوازن . بيض القطا: يكون ابرش .

٤) سواءة: سواءة بن عامر بن صعصعة من بكر هوازن .

٥) الريّث: البطيْ .

فان تكُ قيسٌ ، يا ابن مَروان، بايعت ،
فقد وهِلت قيس اليك من العُذر ، [1]
على غير إسلام ، ولا عن بصيرة ؛
ولكنهم سيقوا اليك ، على صُغر . [2]
٤٠ ولما تبيّنا ضَلالة مُصعَب ،
فتحنا لاهل الشام باباً من النصر . [3]
فقد اصبحت منا هَوازنُ كلّها ،
كواهي السُّلامى ، زيد وقرًا على وقر . [4]
سَمَونا بِعرنَينٍ أشمَّ ، وعارضٍ ،
لنمنع ما بين العِراق الى البِشر ؛ [5]
فاصبح ما بين العراق ومَنبِج
لتَغلب ، تَردي بالرُّدَينيّة السُّمرِ ، [6]

---

١) وهلت اليك من العذر : فزعت اليك معتذرة عما قدّمت .
٢) الصُغر : الذل والضيم .
٣) مصعب : ابن الزبير .
٤) السُّلامى : كل عظم مجوّف من صغار العظام ، مثل عظام الاصابع : ج. سُلامَيات ؛ وقيل عظام خف البعير . الوقر : الصدع .
٥) العرنين : الانف ، ويريد الشرف . العارض : الجمع الكثير ، واصله السحاب . البشر : ماء لبني تغلب ، جبل لهم ايضاً . كانت فيه وقعة للجحّاف بن حكيم على التغلبيين . (راجع المقدمة ، ص : د)
٦) منبج : مدينة كبيرة واسعة ، شمالي شرقي حلب ، بينها وبين حلب عشرة فراسخ . تردي : تمشي . الردينية : منسوب الى الردينة : قرية بالبحرين يبحث فيها القنا ؛ او الى ردينة : امرأة اشتهرت بتقويم الرماح .

اليكَ ، اميرَ المؤمنين ، نَسيرها ؛

تخُبّ المطـايا بالعَرانين من بَكرِ ، [1]

٤٥ برأس أمرئ دلَّى سُليماً وعامرًا ،

وأورد قيساً لُجَّ ذي حدَب غَمر ؛ [2]

فأسرين خمساً ، ثم أصبحنَ غُدوةً ،

يُخـبّرنَ اخبـارًا الذّ من الخمر !

يخبّرننـا ان الاراقم فَلّقوا

جماجم قيس ، بين راذانَ فالحضر ، [3]

جماجمَ قوم لم يعافوا ظُلامـةً ،

ولم يعلموا اين الوفـاء من الغدرِ !

تَخلَّ ، ابن صفّار ، فلا تذكر العلى ،

ولا تذكِرنْ حيّاتِ قومك في الذكر ؛ [4]

٥٠ فقد نهَضت للتغلبيّين حيّـةٌ ،

كحيّة موسى ، يومَ أُيّـد بالنصر .

---

١) خبّ الفرس في عدوه : راوح بين يديه ورجليه . العرانين : الاشراف .

٢) امرئ : هو عمير بن الحباب المتقدم ذكره في « خف القطين » (الروائع ٣٤ : ١٠) . دلّى الدلو : ارسلها في البئر ؛ واراد هنا انه اوقعهما في ما اراد من تغريره . اللجة : معظم الماء . ذو الحدب : البحر . الغمر : الماء الكثير .

٣) الاراقم : حي من بني تغلب . راذان : راذان الاسفل وراذان الاعلى : كورتان بسواد بغداد فيهما قرى كثيرة . الحضر : اسم مدينة بازاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .

٤) ابن صفار : نُفيع بن صفار المحاربي ، وهو المفتخر في ايام لقيس على تغلب .

هجو جرير

هذه القصيدة من النقائض ايضاً ؛ نقض بها الاخطل نونية لجرير . وكان الفرزدق قد ردّ كذلك على جرير بنونية مدح فيها قوم الاخطل . فقال الاخطل يمدح بني دارم ويهجو جريراً . وقد بدأها بالغزل (١٣ بيتاً) ، ثم ذكر اخلاقه وحسن صداقته (٣ ابيات) ، ووصف فرسه في الصيد (٣ ابيات) وانتهى بالهجاء والمدح :

. . . اني أديم لذي الصفاء مودّتي ،
واذا تغيّر ، كنت ذا الوان ؛
وأصدُّ عن صُرم الصديق تكرّماً
حيناً ، وما دهري له بهوان ؛[1]
وافارق الخلّان ، عن غير القِلى ،
وأميت عندي السرّ بالكِتمان .
ولقد غدوتُ على القنيص بنهدةٍ ،
عند البديهة ، سهوةِ القذَفان ،[2]
٥ تنقضّ في اثر الاوابد مثل ما
تنقضّ كاسرة من العِقبان ،
وتُريح من رحب الوجار ، كأنها ،
عند الجِراء ، مغارة الضبعان .[3]

---

١) الصُرم : القطيعة . وما دهري . . . : ليس من عادتي ان اضرّه .
٢) البديهة : اول السير . سهوة : ليّنة . القذفان : سرعة رجع اليدين .
٣) تريح : تتنفس . الوجار : جُحر الضبع استعاره ليصف سعة منخري فرسه .

مـا بالُ قومٍ لا تَغِبُّ أذاتهم ،
قُصٍ الظهور ، من الحَقين بطانِ . [١]
هم هيّجوا حربي ، وما لهمُ بها ،
لو واجهتهم باللقـاء ، يدان ؛ [٢]
حربَ امرئٍ ما إن تَرِثَ سلاحه
ابـدًا ، ولا يفترّ بالحـدثان . [٣]
١٠ قبح الاله بني كليب ! انهم
لا يحفظون محـارم الجـيران ،
قوم ، اذا نفخ الحقينُ بطونهم ،
لم يترعوا بقوارع الفُرقـان ؛
واذا تنودب للمكارم والعُـلى ،
لم يُندبوا لترافـد الاعوان .
اجريرُ ، إنك والذي تسمو له ،
كأَسِيفة فخَرت بحِدْج حَصـان ، [٤]
حملت لربّتهـا ، فلمّا عوليت ،
نسلت تُعارضها مـع الاظعان ، [٥]

١) قُصٍ : ج. اقعس : منحني الظهر . الحقين : اللبن المحقون في الوطاب .
٢) وما لهم . . . : اي ما لهم مقدرة على حربي ، عند اللقاء .
٣) السلاح يُذكّر ويؤنّث .
٤) اسيفة : أمة ؛ وفي رواية : عسيفة : أجيرة . الحدج : مركب من مراكب النساء . الحَصان : المرأة العفيفة ، واراد هنا الحرّة مقابل الامة .
٥) نسلت : اسرعت في المشي ؛ واصله للذئب اذا اسرع . الاظعان : الركبان .

١٥ اتعدّ مــأثرةً ، لغيرك فخرُها
وسَناؤهــا في غابر الازمــان ! [١]
في دارم تاج الملوك وصهرهــا ،
ايامَ يَربوعٌ مــع الرعيــان ، [٢]
متلففٌ في بُردةٍ حَبَقيّــةٍ ،
بفِنــاء بيت مَــذلة وهوان ؛ [٣]
يغذو بنيه بثَلّة مذمومــةٍ ،
ويــكون اكبرَ همّه رِبقــان [٤]
سبقوا اباك بــكل مجمع تَلعة
بالمجد ، عنــد مواقف الرُكبان . [٥]
٢٠ فاخسأ ، كليبُ ، اليك ، إنّ مجاشعاً
وابا الفوارس نهشــلًا اخوان . [٦]
قوم اذا خطرت عليك قرومهم ،
طرحوك بــين كلاكــل وجِران ؛ [٧]

---

١) سناؤها : في رواية : ثناؤها . غابر : في رواية : سالف .
٢) دارم : قوم الفرزدق . يربوع : قوم جرير . وقد ورد الشطر الاول في بعض الروايات : تاج الملوك وصهرهم في دارم .
٣) حبقية : منسوبة اما الى صانع او الى غنم . اي ملطّخة بالوَضَر : وسخ الدسم واللبن وغسالة القصاع .
٤) الثلة : جماعة الغنم . الرِبق : حبــل فيه عدة عُرى ، كل عروة فيه ربقة ، يشد في عنق البهم .
٥) التلعة : ما علا من الارض .
٦) مجاشع ونهشل : ابنا دارم من اجداد الفرزدق .
٧) كلاكــل : ج . كلكل : صدر البعير . الجران : مقدم عنق البعير .

واذا وضعت اباك في ميزانهم ،
رجحوا ، وشــال ابوك في الميزان .
ولقــد تقايستم على احسابكم ،
وجعلتم حكماً من السلطــانِ ،
فــاذا كليب لا توازن دارماً ،
حتى يوازن حزرَمٌ بــأبان ، [1]
٢٥ فاذا سمعت بدارم قــد اقبلوا ،
فاهرب اليك مخافة الطوفــان !
واذا وردت المــاء ، كان لدارم
عفواتُــه ، وسهولةُ الاعطــان . [2]
انسيت قتلى بالكُلاب وحابسٍ ،
وبكيت ، ويحك ! بُرقة الرَّوحان ، [3]
ودّت تميم بالكُلاب لو أنّهــا
باعت هنــاك زمانها بزمــان ! [4]
والخيل تردي بالكماة كانها ، يوم الكُلاب ، كواسرُ العقبان ،
٣٠ برجال تغلب كالاسود ، ومعشرٍ قتلوا طريفاً في بني شيبان !

١) حزرم : جبل صغير فوق الهضبة في ديار بني اسد . أبان : جبل عظيم .
٢) عفوة الشيء : صفوته . الاعطان : مبارك الابل حول الحياض .
٣و٤) اشارة الى مطلع نقيضة جرير :
لمن الديار ببُرقة الروحانِ ، اذ لا نبيع زماننا بزمانِ !
والكلاب وحابس : موضعان بين البصرة والكوفة ، كان فيها يومان لتغلب على تميم .

هجو وفخر

من قصيدة يهجو فيها جريرًا ويفتخر على قيس ؛ بدأها بالغزل التقليدي ، ذاكرا إعراض الغواني عن الشيوخ (١٣ بيتًا) حتى وصل الى الفخر والهجو . وفي ترتيب الابيات اختلاف بين الديوان والنقائض ، فتبعنا ، على الغالب ، رواية الديوان ، الّا ما وافق تسلسل المعنى في رواية النقائض :

كَذبتكَ عينُك ، أم رأيتَ بواسطٍ ،
غلسَ الظلامِ ، من الرَّبابِ خيالا ؟[1]
وتخيّلتْ لك بالأَباِلخِ ، بعدما
قطعت ، بأبرقَ ، خُلّةً ووِصالا ؛[2]
وتعرّضت لتروعنا جِنّيةٌ ،
والغانياتُ يُرينك الاهوالا ![3]
يمدُدنَ من هفواتهنّ الى الصِبى
سبباً يصدن به الغُواة ، طُوالا ؛[4]

---

١) واسط : قرية غربي الفرات ، مقابل الرقّة ، من منازل تغلب . وهي غير التي بناها الحجّاج بين البصرة والكوفة . الغَلَس : ظلمة آخر الليل المختلطة بضوء الصبح .

٢) الاباِلخ : ج . البليخ : نهر الرقّة . الأَبرق : موضع فيه رمل وحجارة . الخُلّة : الصداقة .

٣) تعرّضت : في الديوان : تغوّلت : تلوّنت وتحوّلت .

٤) الهفوة : الجهل . السبب : الحبل . الغُواة : ج . الغوي : الذي يتبع الغواية . الطُوال : الطويل .

٥ يَرفُلنَ في سَرَق الفِرِنْدِ وقَزِّه ،
يَسحبنَ من هُـدّابه أذيالا ؛[١]
ما ان رأيتُ كمكرهنَّ اذا جرى
فينـا ، ولا كحبالهنّ حبـالا !
المُهديات لمن هوين مَسبَّةً ؛
والمحسناتُ لمن قَلَينَ مقـالا ![٢]
يرعَين عهدك مـا رأَينَكَ شاهدًا ؛
واذا مَذِلت يصرن عنـك مِذالا .[٣]
إن الغواني ، إن رأَينك طـاوياً
بُرد الشباب ، طوينَ عنك وصالا ؛
١٠ واذا وعدنـك نائلًا أخلفنه ،
ووجدتَ عند عِداتِهنّ مِطـالا ؛[٤]
واذا دعونـك عَمّهنَّ ، فـانّه
نسبٌ يزيدك عندهنَّ خَبـالا ؛[٥]
واذا وزنت حلومهنّ الى الصِبى ،
رجح الصِبى بحُـلومهنّ ، فـالا !

---

١) السَرَق : شقاق الحرير الابيض. الفِرِند: اسم ثوب.
٢) قلَين: أبغضن.
٣) شاهدًا : حاضرًا ، وحضوره دليل على كَلَفه بهنّ. مذِلت: ضجرت ، كرهت ، مِلت عنهنّ.
٤) العِدات : ج. عِدَة: الوعد.
٥) دعونك عمّهنّ: اشارة الى كبر سنّه. الخَبال : الفساد.

أهي الصريمةُ منكِ ، أمَّ تحلّم ،
أم ذا الدلالُ ؟ فطال ذاك دَلالا !
ولقد علمتِ ، ــ اذا العِشارُ تروّحت
هَدَجَ الرئالِ تكبُّهنَّ شَمالا ، [1]
١٥ ترمي العِضاهَ بحاصبٍ من ثلجها
حتى يبيت على العِضاه جُفالا ، ــ [2]
أنّا نعجّل بالعَبيط لضيفنا ،
قبلَ العيالِ ، ونقتل الابطالا ! [3]
أبني كُلَيب ، إن عمّيَ اللّذا
قتلا الملوك ، وفكّكا الاغلالا ؛ [4]
واخوهما السفّاح ظمّأ خيله
حتى وردن جِبا الكُلاب نِهالا ، [5]

١) العِشار : النياق التي اتى على حملها عشرة أشهر . تروّحت : أتت في الرواح : العشي . الهَدج : الركض المتقارب من كبر او مرض . الرئال : اولاد النعام .
٢) ترمي : الضمير لريح الشمال . العضاه : كل شجر له شوك الّا القتاد ، واحدته : عضَة واصل عضة عضه عُوّض عن الهاء بتاء التأنيث . الحاصب : المتفرّق ، المتناثر . الجُفال : المتراكم .
٣) العبيط : الطري يوصف به اللحم والدم ؛ ما نُحر من غير هرم ولا علة .
٤) بنو كليب بن يربوع : رهط جرير . عمّي : أُختلف في عمي الاخطل هذين؛ فقيل هما : عمرو ومرّة ابنا كلثوم ، فان عمرًا قتل عمرو بن هند ، ومرّة قتل المنذر ابن النعمان بن المنذر ؛ وقيل غير ذلك .
٥) السفاح : مسلمة بن خالد بن كعب بن زهير من بني تيم ؛ وقد تجوّز الشاعر في جعل السفاح اخًا لعميه . الجِبا : الماء المجموع للابل . الكُلاب : موضع بين الكوفة والبصرة كان فيه يوم للتغلبيين . النهال : ج . الناهل : العطشان والريان

يخرجن من ثَغر الكُلاب عليهم ،
خَببَ السباع ، تُبادر الاوشالا ، [1]
٢٠ من كل مُجتَنَبٍ شديدٍ أَسرُه ،
سلِسِ القياد ، تخاله مُختالا ؛ [2]
ومُمَرَّةٍ أثرُ السلاح بنحرها ،
فكأن فوق لبانها جِريالا ، [3]
قُبَّ البطون ، قد انطوين من السُّرى
وطرادِهنَّ ، اذا لقين قتالا ، [4]
مُلح المُتون ، كأنما ألبستَها
بالماء ، اذ يَبِسَ النضيحُ ، جِلالا ؛ [5]
ولقلَّ ما يُصبحنَ الا شُزَّباً ،
يَركبن من عَرَض الحوادث حالا . [6]

(ضد) ، والمقصود هنا الاول .

١) عليهم : وفي رواية : اليكم . الاوشال : ج . الوشل : الماء القليل .

٢) مجتنب : من الجنيبة : الدابة تقودها الى جنبك ؛ وكانوا يركبون الابل ويجنبون الخيل ، فاذا صاروا الى الحرب ركبوا الخيل . اسره : خلقه . مختال : كأنّ فيه اختيالاً من نشاطه ومرحه .

٣) المُمرّة : المدمجة الخلق ، وهو مأخوذ من شدة الفتل . الجريال : صبغ يشبه به الدم والخمر .

٤) قُبّ : ج . اقبّ : الضامر البطن ، الدقيق الخصر من الخيل .

٥) مُلح المتون : شهب من العرق . النضيح : العرق . — يقول ان العرق ، لمّا جفّ على ظهور الخيل ، ابيضّ فأشبه الجِلال .

٦) الشزب : ج . الشازب : الضامر . الحال : من الفرس : وسط ظهره . الحوادث : وفي النقائض : المنيّة .

٢٥ فطحنَّ حائرةَ الملوك بكلكلٍ ،
حتى احتذين من الدماء نعالا ؛ [١]
وأبرن قومك ، يا جرير ، وغيرهم ؛
وأبرن مِن حَلق الرِّباب حِلالا . [٢]
ولقد دخلنَ على شَقيقٍ بيتَه ،
ولقد رأينَ بساقِ نَضرةَ خالا . [٣]
وبنو غُدانة شاخصٌ ابصارهم ،
يسعون تحت بطونهنَّ ، رجالا ، [٤]
ينقُلنهم نقل الكِلاب جراءها ،
حتى وردن عُراعِرًا وأُثالا ، [٥]
٣٠ خُزرَ العيون الى رِياح بعدما
جعلت لضبّة بالرماح ظِلالا .

---

١) حائرة الملوك : من تحير منهم ، وقيل : مجتمعهم . يعني عمرو بن هند حين قتله عمرو بن كلثوم .

٢) أَبرن : اهلكنَ . حلق الرِّباب : جماعتهم ، والرباب هم : عدي ، وعكل ، وتيم ، وثور ، بنو عبد مناة ؛ وسمّوا الرباب لانهم غمسوا في الرُّب ايديهم في حلف على بني ضبة . الحِلال : المجتمعون في المكان .

٣) شقيق : رجل من بني ضبّة . نضرة : ابنته او امرأته . يُشير الى غزوة الهذيل بن هبيرة التغلبي على بني ابي ربيعة ، وانتصاره عليهم وسبيه جملةً من نسائهم منهنَّ نضرة المذكورة .

٤) غدانة : حي من يربوع ، قوم جرير . بطونهن : بطون الخيل . الرِجال هنا : ج . الراجل : من يمشي على رجليه .

٥) عراعر : ماءة مُرَّة بعَدَنة في شمالي الشَّرَبَّة لبني فزارة . أُثال : جبل لبني عبس ؛ او عين ماء لقوم من بني تميم .

فلقد سما لكم الهُذَيل ، فنالكم
بإرابَ ، حيث يقسّم الانفالا ، [1]
في فيلق يدعو الاراقم ، لم تكن
فرسانه عُزْلًا ولا اكفالا ؛ [2]
بالخيل ساهِمة الوجوه ، كأنما
خالطن من عمل الوَجيف سُلالا . [3]
ما إن تركن من الغواضر مُعصِراً
الّا فَصَمْنَ بساقها خلخالا ؛ [4]
٣٥ ولقد عطفن على فزارة عطفة ،
كرَّ المَنيح ، وجُلن ثَمَّ مجالا ؛ [5]
ولقد وطِئن على المشاعر من مِنى ،
حتى قذفنَ على الجبال جبالا ؛ [6]
فسقَين مَن عادَين كأساً مرة ،
وأزلن جَدَّ بني الحُباب ، فزالا .

---

١) إراب : من مياه البادية ، لبني رياح بن يربوع .
٢) الاراقم : حي من تغلب . الاكفال : ج . الكِفل : من لا يثبت على الخيل .
٣) الساهمة : الضامرة . الوجيف : العدو السريع . السُلال : الهزال .
٤) الغواضر : من أسد وقد اغار عليهم الهذيل ، فقتل وسبى . المعصر : الجارية قاربت الإدراك . فصمن : كسرنَ .
٥) المنيح : قِدْح لا فوز له .
٦) مِنىً : بليدة في درج الوادي الذي ينزله الحاج ، على فرسخ من مكة تعمر ايام الموسم وتخلو بقية السنة .

يَغشَين جِيفة كاهِــل عَرِّينها ،
وابن المُهزَّم قـــد تركن مُذالا ؛ [١]

فقتلن من حمَل السلاح ، وغيرهم ؛
وتركن فَلّهم عليــك عِيــالا . [٢]

٤٠ ولقد بكى الجحّاف مِمــا أوقعت
بالشَّرْعبيَّة ، اذ رأى الاطفــالا . [٣]

فانعق بضأنك ، يا جرير ، فانما
منّتك نفسك في الخــلاء ضلالا ! [٤]

منَّتك نفسك ان تسامي دارِماً ،
او ان توازن حاجباً وعِقــالا ؛

واذا وضعت اباك في مــيزانهم
قفزت حديدته اليــك ، فشالا . [٥]

ان العَرارَة والنُّبوح لــدارِم ،
والمُستخِفّ اخوهم الاثقــالا ، [٦]

٤٥ المــانعين المــاء حتى يشربوا
عفَواتِــه ، ويُقسّموه سِجــالا ، [٧]

---

١) كاهل وابن المهزَّم : من بني عامر قُتلا في حرب قيس وتغلب . مذال : مهان .
٢) الفَلّ : المنهزمون .
٣) الجحّاف : زعيم قيس (راجع المقدمة : ج—و) . الشرعبية . موضع من بلاد تغلب . الاطفالا : لأن آباءهم قتلوا . وفي رواية : الاهوالا .
٤) النعيق : دعاء الراعي للشاء . ٥) شال : ارتفع .
٦) العرارة : النجدة وشدة الشوكة . النُّبوح : الكثرة والعزّ .
٧) عفواته : صفوته .

وابنُ المَراغَة حابِسٌ أعيـارَه
قَذفَ الغَريبةِ مـا يذُقن بِلالا . [1]
واذا سما للمجد فرعـا وائل ،
واستجمع الوادي عليـك فسالا ، [2]
كنتَ القذى في موج أكدرَ مُزبِدٍ ،
قذف الأَتيُّ بـه فضلَّ ضلالا . [3]

هجو جرير ايضاً

لم تُذكر هذه القصيدة في ديوان الاخطـل . انما وردت في « نقائض جرير والاخطل » بالمة ٣٠ بيتاً . وقد بدأها الشاعر بالنسيب المتاد (١-٨) منتقلاً الى الهجاء الصريح ، وهذا هو :

١ . . . جلبت كليبٌ للرهان مُكَدَّماً ،
عند الحفاظِ ، مُسَبَّقاً ، مغمورا ؛ [4]
قد كان يُعهد في الرهان ، اذا جرى،
حَطِماً ، اذا اعترض الجيادُ ، عَثورا . [5]

---

١) المَراغة : ام جرير ، لقبها بذلك الفرزدق والاخطـل ؛ وهي موضع التمرّغ ، كأن امه ولدت في مراغة الابل ؛ او هي الاتان . اعيار : ج. عَير : الحمار الاهلي او الوحشي . البلال : ما يبل الفم من الماء .

٢) فرعا وائل : بكر وتغلب .

٣) الأَتيّ : كل سيل يأتي من حيث لا تعلم .

٤) كليب : رهط جرير . المكدّم : الحمار المُعَضَّض . المغمور : المقهور .

٥) الحَطِم : المتكسّر .

أجرى جريرٌ وحدَه ، ولَرُبَّما
كان المجوِّدُ ، وحدَه ، مسرورا ؛[١]
فأحانه جَرْيُ الخَلاءِ ؛ وطال ما
قد كان يوجد حائناً مغرورا ![٢]
٥ لما جرى ، هو والفرزدق ، لم يكن
تَرِقاً ؛ ولا لمدى المثين صَبورا ؛[٣]
يجري له عُدُسُ بن زيد بالقنا ،
وجرى بصعصعةَ الوئيدُ بشيرا ![٤]
قومٌ همُ سبقوا أباكَ الى العلى
جرياً ، وصرت مُخلَّفاً محسورا ![٥]
أزَعمتَ أن بني كليب سادةٌ ؟.
قُبحاً لذلك معشرًا مذكورا !
يا شرَّ مَن وَطِئَ التراب قبيلةً
حيًّا ، وألأمَ ميّتٍ مقبورا ،

---

١) المجوِّد : من له فرس جواد .
٢) أحانه : اهلكه ، من الحَين : الهلاك .
٣) الترِق : الخفيف . المثين : اراد ج . مئة غلوة يعني البعد . ولا لمدى . . . : لا صبر له ولا طاقة على هـذا الجري . وفي رواية : « ضبورا » بدل صبورًا ، ومعناه : وَثوبًا .
٤) عُدُس بن زيد وصعصعة بن ناجية : جدّا الفرزدق ؛ وصعصعة هـذا هو محيي الوئيدات او الموْؤودات : البنات المدفونات حيأت .
٥) محسور : مُعْيٍ ، تعب — وليـلاحظ الاكثار من لفظة جرى ومشتقاتها في هذه الابيات الستة .

١٠ إني رأيتكُمُ ، اذا ما شمّرت
حربٌ ليومٍ كريهةٍ نشميرا ،
عُذتم بآل مجاشعٍ ، فحَمَوكُمُ
ضرباً هنالك لم يكن تَعذيرا .[1]
لولا فوارسُ دارمٍ ، لَقُسِمتمُ
مثل اقتسام الياسرين جَزورا .[2]
ما كان في مضرٍ ، اذا هي حاربت،
قومٌ أذلّ فوارساً ونصيرا
مِمّن هتفتَ به لنصرك ، بعد ما
غودِرتَ يصفِر مَنخِراك صفيرا !
١٥ تركوا عُميرًا ، والرماحُ شوارعٌ ،
يدعو ، وقد حمي الوغى ، منصورا ؟[3]
لاقى طريفا ، وهو غير مكذِّبٍ
كضبارمٍ يَقِص الرجالَ ، هصورا ؛[4]

---

١) عذتم : لجأتم . مجاشع ودارم : آل الفرزدق . التعذير : التقصير ، اي حموكم ضربا لم يقصّر فيه ضاربوه . يذكّره بان قوم الفرزدق دافعوا عن قومه .
٢) الياسرون : الذين يضربون بالقداح .
٣) عمير : هو ابن الحباب السُلَمي الذي قتله التغلبيون ، يوم الحشّاك ، كما تقدّم . منصور : أبو سُلَيم بن عكرمة .
٤) طريف : من ابطال تغلب . غير مكذّب : صادق الحملة . ضبارم : من صفات الاسود ، وكذلك هصور . يقِص : يكسر .

فعـلا ذؤابتَه بأبيضَ صـارمٍ
قد كان فيا قـد مضى مخبورا . [١]

ونجا ، على جرداءَ ذاتِ عُلالةٍ ،
زُفَرٌ ، وكان لدى الطعـانِ فَرورا ، [٢]

هرباً ، وغادر من نساءِ هوازنٍ
مثل المَها خُردًا ، أوانسَ ، حورا ، [٣]

٢٠ يهتفنَ : أين ذوو الحميّةِ ؟ أين هم ؟
أم مَن يَغارُ ؟ فلم يجِـدنَ غيورا !

هذا وقد وَطئت سنابكُ خيلِنـا
زوجَ المراغة ، صـاغرًا مَثبورا ، [٤]

أيّام صَبّحكَ الهُـذيلُ بِشُزَّبٍ
جُردٍ يُخَلن ، اذا جَرينَ ، صقورا .

فحوى نساءَ بني كليبٍ بالقنـا ،
وبكل أجرد مـا يزال بشيرا !

---

١) مخبور : مجرّب .
٢) العُلالة : الجري الاخير .
٣) الخُرد : الحييّات .
٤) زوج المراغة : الخطفى ، والد جرير . وكان الهذيل التغلبي قد أسره يوم إراب ؛ ثم اطلقه . وفي ذلك يقول الفرزدق معيّرًا جريرًا ، مادحاً بني تغلب :

لولا أناتُهمُ ، وفضلُ حلومهم ، باعوا اباك بأوكسِ الأثمانِ

صاغر : ذليل . مثبور : مهلك .

مدح وهجو

جرى الاخطل في هذه القصيدة على طريقته المعروفة في المدح ، فبدأها بوصف الناقة والسفر (١-١٥) ، حتى وصل الى عبد الملك فمدحه والامويين (١٥-٣٢)، شأنه في « خفَّ القطين » ، واستطرد الى الفخر بقومه ومدح الامويين ايضاً . وختمها بهجاء قيس عيلان وجرير . وهذه القصيدة ايضاً من النقائض المشهورة .

١ لعمري ، لقد اسريتُ، لا ليلَ عاجزٍ ،
بساهمة الخدّينِ ، طاوية القُربِ ، [1]

جُماليّةٍ لا يدرك العيسُ رفعَها ،
اذا كنّ بالركبان كالقِيمِ النُّكبِ ، [2]

معارضةٍ خُوصاً حراجيجَ ، شمَّرت
لُنجعة مَلْكٍ لا ضئيلٍ ولا جَأبِ . [3]

كأن رحالَ القوم، حين تزعزعت ،
على قطواتٍ من قطا عالجٍ ، حُقبِ ، [4]

١) ساهمة : ضامرة ، شاحبة . القُرْب : فوق الخاصرة ، جانب السرّة من اسفل البطن .

٢) جمالية : غليظة ، خلقها خلق الجمل . العيس : الابل البيض . رفعها : سرعة سيرها . القِيَم : ج القامة : خشبة تُعلّق عليها البكرة . النكب : ج . الانكب والنكباء : المائل ، المنحرف المنكب . — شبّه الابل الهزيلة السائرة بركبانها ، بهذه الاخشاب المائلة وفي اعلاها البَكَر .

٣) معارضة ، مسابقة ، مبارية . الخوص : الغائرة الاعين من التعب . حراجيج : ج . حرجوج : ضامرة ، مستطيلة . جأب : غليظ ، كَزّ ، بخيل .

٤) ترعزعت : وفي رواية : تروّحت . قطوات : ج . قطاة . عالج : رمال بين فَيد والقُريَّات على طريق مكة ، وهي مسيرة اربع ليالٍ ، وفيها برك اذا

٥ أجدَّت لوردٍ من أُباغَ ، وشفَّها
هواجرُ ايامٍ وَقدنَ لهـا ، شُهبِ ،[1]
اذا حملت ماء الصرائم قلّصت ،
روايا لاطفالٍ ، بمَعْمِيةٍ ، زُغبِ ،[2]
توائمَ اشبـاهٍ بأرضٍ مريضةٍ ،
يلُذنَ بخذراف المِتان ، وبالعِربِ .[3]
اذا صخب الحادي عليهنَّ ، برَّزت
بعيدةُ مـا بين المشافر والعَجبِ ؛[4]

سالت الاودية امتلأت . حُقب : بيض الخواصر او الاعجاز .

١) أُباغ : اراد عين أُباغ : محلة او وادٍ بطرف ارض العراق ، على طريق الفرات الى الشام . كان فيها وقعة حاسمة للغساسنة على المناذرة في ٢٠ ايار ٥٧٠ (راجع الروائع ٣٠ : و) . شفَّها : اضمرها . شهب : بيض من شدة الحرّ ولون السراب .

٢) الصرائم : ج . الصريمة : ما انقطع من معظم الرمل . ماء الصرائم : ماء النزّ . قلّصت : اسرعت . روايا : صفة القطا ، حاملات الماء . المَعمية : الارض المجهولة ، المُضلَّة . زُغب : صفة لفراخ القطا التي يبدو عليها الزَغَب : صغار الريش .

٣) توائم اشباه : صفة فراخ القطا : همـا اثنان اثنان . مريضة : ساكنة الريح شديدة الحرّ . الخـذراف : الاكمة الصغيرة ؛ او الاصح : الخذراف : نبات من الحَمض له وريقة صغيرة ترتفع قـدر الذراع ، فاذا جفّ ابيضّ ، والواحدة منه : خذرافة . المتان : ج . المَتن : ما صلب وارتفع من الارض . العِرب : شوك البُهمى : بقلة ما دامت غضَّة تُسمَّى حُمى ، فاذا ظهرت برعومتها في اعلاهـا فهي البُسرة ، فاذا طالت شيئاً واستحدَّت فهي الصمعاء ، فاذا تقلَّقت واذرت الريح شوكتها فهي العِرب . قال ذو الرمة :

رعت بارضَ البُهمى جميماً ، وبُسرةً ، وصمعاء ، حتى آنفتها نصالهُـا .

٤) عليهنَّ : الضمير للابل . العَجب : اصل الذنب — يصفها بالطول .

وكم جاوزت بحرًا وليلًا ، يخُضنه
اليك ، امير المؤمنين ، ومن سَهبِ ؟ (١)
١٠ عوادلَ عُوجاً عن أُناسٍ ، كأنّما
ترى بهم جمعَ الصقالبة الصُهبِ ، (٢)
يُعارضنَ بطنَ الصحصحان، وقد بدت
بيوت بوادٍ من نُميرٍ ، ومن كلبِ ، (٣)
ويامَنَّ عن نجد العُقاب ، وياسرت
بنا العيسُ عن عذراءَ دارِ بني الشَّجْبِ ؛ (٤)
يَحِدنَ بنا عن كل حيٍّ ، كأننا
اخـاريسُ عيّوا بالسلام وبالنَّسْبِ . (٥)

---

١) السهب : الفلاة البعيدة .
٢) الصقالبة : جيل من النـاس يعرف اليوم بالسلافيين ، اراد بهم الروم على الاطـلاق . الصُهب : ج. الاصهب والصهباء : الاشقر . — اي انها تميل عن هؤلاء القوم ، مخافة الثـأر ، كأنها ترى بهم الروم ، لعداوتهم للعرب . والعرب تُسمي الاعداء « صُهب السبال » ، وان لم يكن فيهم صهوبة ، كما تسميهم « سود الاكباد وزرق العيون » ، وذلك ان الصهوبة تكون في الروم اعداء العرب .
٣) يعارضن : يجانبن . الصحصحان : المكان المتسع المستوي ، موضع بين حلب وتدمر ، وادٍ في طريق الشام من المدينة .
٤) يامَن : أخذ يمنة . نجد العُقاب : وثنيَّة العقاب : فرجة في الجبل الذي يطلّ على غوطة دمشق من ناحيـة حمص سُمّيت بالعُقاب براية اطلها خالد بن الوليد من تلك الثنية ، وكان اسمها العُقاب . عذراء : قرية بغوطة دمشق ينسب اليها مرج ، وهي على يسار المنحدر من ثنيّة العُقاب . وبالقرب منها راهط الذي كانت فيه الوقعة بين الزبيرية والمروانية . بنو الشَّجب : قبيلة من كلب .
٥) اخاريس : واخارس : ج. اخرس . النَّسْب : النسَب : الانتساب .

اذا طلع العيّوقُ والنجمُ ، اولجت
سوالفَهـا بين السماكين والقلبِ ، [١]

١٥ اليك ، اميرَ المؤمنين ، رحلتها
على الطائر الميمون والمنزل الرّحبِ !

الى مؤمنٍ تجلو صفيحةُ وجهه
بلابلَ تغشى من هموم ، ومن كَرْبِ . [٢]

مُناخِ ذوي الحاجات يستمطرونه
عطاءَ كريم : من اسارى ، ومن نهبِ . [٣]

ترى الحَلَقَ الماذيَّ تجري فضوله
على مستخفٍّ بالنوائب والحَرْبِ ؛ [٤]

اخوها ، اذا شالت عَضوضاً ، سما لها
على كل حالٍ من ذَلولٍ ، ومن صَعبِ . [٥]

---

١) العيّوق : نجم احمر مضيء في طرف المجرّة الايمن يتلو الثريّاً . النجم : المراد به الثريّا . السوالف : ج . السالفة : جانب العنق ، والضمير يعود الى الابل . السماكان : السماك الاعزل والسماك الرامح ، فالرامح في كوكبة العوّاء وبين يديه كوكب ، والاعزل مفرد في صورة السنبلة . القلب : هو قلب العقرب . — اذا طلعت الثريّا بالغداة كان ابتداء الحر . فيكون طلوع العقرب اول الليل . يقول : انهم لا يسيرون بالنهار مخافة الحرّ ، فينتظرون طلوع السماكين وقلب العقرب ، ويكون ذلك اول الليل ، اذا كان طلوع الثريّا غدوةً كما تقدّم .

٢) البلابل : الشدائد.

٣) من اسارى . . . : يعني اسارى الروم واموالهم ، يسألونه ذاك اذا جيء به فيعطيهم .

٤) الحلق : اي حلق الدروع . الماذيّ : الحديد الخالص ، الابيض . مستخفّ : وفي رواية : مستقلّ . . . : حامل للشدائد .

٥) اخوها : اخو الحرب . شالت : رفعت ذنبها ، شبّه الحرب بالناقة في

٢٠ إمــامٌ سما بالخيل ، حتى تقلقلت
قــلائدُ في اعناق مُطلَمةٍ حُدْبِ ، (١)
شواخصَ بالابصار من كل مُقرَبٍ
أُعِدّ لهيجا ، او موافقةِ الرَّكبِ ، (٢)
سَواهمَ ، قد عاودن كل عظيمةٍ ،
مُجلَّلةِ الشَّطَيّ ، طيبةِ الكسبِ ، (٣)
يُعاندنَ عن صُلب الطريق من الوجى ،
وهنّ ، على العِلّات ، يَردِينَ كالنُّكبِ ؛ (٤)
اذا كلفوهنّ التنــائي ، لم يزل
غرابٌ على عوجاءَ منهنّ ، او سَقبِ . (٥)
٢٥ يُطرّحن باثغر السِخال ، كأنما
يشقّقن ، بالاسلاء ، اردية العَصبِ ؛ (٦)

هيجانها . عَضوض : كثيرة العضّ .

١) مُطلمة : وفي رواية : مُممَلَة : مُدأَبَة في السير . المعنى : انه كلّف الخيل سيرًا طويلًا مجهدًا حتى هزلت وتقوّست فتقلقلت قلائدها في اعناقها .

٢) المُقرِب : الفرس الربيط قرب البيت لكرامته .

٣) سَواهم : ج. ساهمة : متغيرة اللون مهزولة . الشطيّ : اصلها الشَّطَوِي : ثوب كتّان منسوب الى قرية شطى في مصر . الكسب : اراد به الغنائم التي تأتي بها الخيل .

٤) يعاندن : يعــدلن ، يملن : وفي رواية : تفادَين . الوجى : التعب ، الحفا . على العِلّات : على كل حال . يردين : يسرن الرَّدْي : بين العدو والمشي .

٥) التنائي : التباعد ، والمقصود الغزو . العوجاء : التي قــد اعوجّت اي احدودبت من شدة السفر والتعب . السَقب : الحُوار . — يريد انها ، في تلك الاسفار البعيدة وبتأثير التعب ، اجهضت ولدها ، فوقعت عليه الغربان .

٦) يتابع المعنى المذكور في البيت السابق . السِخال : ج. السَّخلة : ولد

بناتُ غرابٍ لم تُكمَّل شهورُها ،
تَقلقلنَ من طول المفاوز والجَذْبِ ؛[1]
وان لهـا يومين : يومَ إقامةٍ ،
ويوماً تشكّى القضَّ من حذر الدربِ .[2]
وفي كل عامٍ منك للروم غزوةٌ
بعيـدة آثار السنابك والسَّربِ ؛[3]
غموسُ الدجى ، ينشقّ عن متضرّمٍ ؛
طَلوبِ الاعادي ، لا سؤومٍ ولا وجبِ .[4]
٣٠ على ابن ابي العاصي قريشٌ تعطَّفت ،
له صُلبُها ؛ ليس الوشائظُ كالصُّلبِ ؛[5]
وقـد جعل الله الخلافة منهم
لِابيضَ لا عاري الخِوانِ ، ولا جدبِ .
عتبتم علينا ، قيس عيلان ، كلّكم ؛
وايّ عـدوّ لم نُبته على عتبِ !

الفنم ساعة يولد ، استعارة لاولاد الخيل . الاسلاء : ج. السلا : غشاء الجنين. شَبِهها ، في لونها الاحمر باردية العَصْب : برود يصبغ غزلها ثم يُنسج.

١) غُراب : فرس كريم كان لسليم او لغني . الجَذب : جَذب الاعنّة لها.

٢) القضّ : الحصى الصغار . الدرب : الطريق الى بلاد الروم.

٣) السَّرب : المذهب ، الطريق.

٤) الغَموس : الشجاع ، يسير ليله كله . ينشقّ : ضمير الفاعل للدجى. متضرّم : متلهّب من الغيظ ، الصفة للممدوح . السؤوم : الملول . الوجب : الجبان.

٥) الصُلب : الصميم . له صلبها : اي هو من صميم قريش . الوشائظ : ج. الوشيظة : الزائدة ، الحشو.

لقد علمت تلك القبائل اننـا
مصاليتُ ، جذامون آخيةَ الشَّغبِ . (١)

فان تكُ حرب ابنَي نِزارٍ تواضعت ،
فقد عذرتنا في كِلابٍ، وفي كعبِ ، (٢)

٣٥ وفي الحُقب من افناء قيسٍ ، كأنهم ،
بِمنعرَج الثرثار ، خُشبٌ على خُشبِ . (٣)

وهنّ اذقن الموت جَزْءَ بن ظالمٍ
بناضيةٍ بين الشراسيف والقُصبِ . (٤)

---

١) مصاليت : ج. مِصلات : شجاع ، سريع ، مِقدام. الآخيـة : الاصل الثابت، خشبة تُدفن في الارض تُشدّ فيها الدابّة . الشَّغب : تهييج الشرّ. المعنى : انا اقوياء نستأصل جرثومة الشرّ بقهرنا الاعداء.

٢) حرب ابني نزار : حرب البَسوس بين بكر وتغلب من ربيعة بن نزار. تواضعت : هدأت وسكنت. عذرتنا : وفي رواية : اعذرتنا : جعلت لنا عذراً. المعنى : ظفرنا فرضيناها. في كلاب وفي كعب : في رواية : من كلاب ومن كعب.

٣) الحُقب : ج. الاحقب : الحمار الوحشي في حقويه ، اراد : القبائل الخسيسة. افناء النـاس : ج. فِنْو : اي اخلاطهم. الثرثار : وادٍ في الجزيرة بين سنجار وتكريت تعظم مياهـه في الشتاء ، ويجفّ في الصيف الا مستنقعات قليلة. كان من منـازل بكر ثم غلبها عليه بنو تغلب ؛ وللعرب بنواحيه وقائع عديدة. خُشب . . . : شبّه القتلى بقطع الخشب او الجذوع الملقاة بعضها فوق بعض.

٤) جَزْء : وفي رواية : حارِ بن ظالم : هو الحارث بن ظالم المرّي من فُتّاك العرب في الجاهلية قتله ابن الخِمس التغلبي بامر النعمان بن المنذر. الشراسيف : ج. الشرسوف : طرف الضلع من اسفل الجنب. القُصب : الامعاء.

لعمري ، لقد لاقت سُليمٌ وعامرٌ ،
على جانب الثرثار ، راغيةَ السقبِ ؛[1]
فظلّ بنو الصَمعاء تأوي فلولهم
الى كل دسماء الذراعين والعَقبِ .[2]
وقد كان يوما راهطٍ ، من ضلالكم ،
فناءٌ لاقوامٍ وخَطباً من الخطْبِ .[3]
٤٠ تسامون اهل الحقّ بابني محاربٍ ،
وركبِ بني العجلان، حسبك من ركبِ ![4]
قرومُ ابي العاصي ، غداة تخمّطت
دمشق باشباه المُهنَّأةِ الجُربِ ،[5]
يقودون موجاً من أُمية لم يَرِثْ
ديارَ سُليم بالحجاز ، ولا الهضبِ ؛[6]

١) السَقْب : الحُوار ، وقد تقدّم . - يقول : لاقوا من القتل والعذاب ما لاقى الذين عقروا ناقة صالح ، فلما رغا سقبها اهلكهم الله ، في معتقد العرب .

٢) بنو الصمعاء : ابن الحُباب واخوته . الفلول : المنهزمون . دسماء : وسخة .

٣) راهط : ومرج راهط : موضع في شرقي الغوطة ، بعد مرج عذراء . كان فيه وقعة مشهورة بين مروان بن الحكم والضحّاك بن قيس ، في آب ٦٨٤ ، فانتصر مروان واستقامت له الخلافة ، وكانت تغلب تناصره .

٤) اهل الحق : بنو أُمية . محارب : من قيس عيلان . بنو العجلان : من هوازن . حسبك من ركب ! : على سبيل التهكّم .

٥) تخمّط البعير : هاج وتبختر وتغطّم . المهنّأة : الابل المطلية بالهِناء : القطران .

٦) لم يرث ديار سُليم : اي ليسوا من بني سُليم فيرثون ديارهم . هكذا في شرح « النقائض » . ولعلّ الاصح : انهم اربابها منذ القدم .

ملوكٌ، وحكامٌ، واصحاب نجدةٍ،
اذا شوغبوا كانوا عليها أُلي شَغْبِ .

اهلّوا من الشهر الحرامِ فاصبحوا
مواليَ مُلكٍ لا طريفٍ ولا غَصبِ .[١]

٤٥ بصُمّ القنا، والخيل تُثنى عليهم،
وهنّ بايدي المستميتين كالشُّهبِ .[٢]

ولم ترَ عيني مثلَ ملكٍ رأيتُه
اتاك بلا طعن الرماح ولا ضربِ،

ولكن رآك الله موضعَ حقّه،
على رغم اعداء وصَدّادةٍ كُذْبِ .[٣]

لحى الله صِرماً من كليبٍ، كأنهم
جداء حجاز لاجئات الى زَرْبِ،[٤]

أكارعُ ليسوا بالعريض محلّهم،
ولا بالحُماة الذائدين عن السَّربِ .[٥]

١) اهلّوا . . . : خرجوا في استهلاله . موالي ملك . . . : اي ملكهم قديم موروث، ليس بمستحدث ولا اخذوه باغتصاب .

٢) بصمّ : في رواية : تذود . والخيل : وفي رواية : والبيض . تُثنى عليهم : تُكرّ عليهم . وهنّ : اي القنا . المستميتين : المستقتلين، الذين لا يهمّون بالفرار .

٣) الصدّادة والصُدّاد : الذين يصدّون عن الحقّ : يمنعون . كُذْب : تخفيف كُذُب : ج . كَذوب .

٤) لحاه الله : قبّحه ولعنه . الصِرم : الجماعة . الزَرْب : صِيرة الغنم .

٥) أكارع : ج . أكرُع : ج . كُراع : مـا دون الكعب من الدابة ،

٥٠ وما يفرح الاضياف ان ينزلوا بها ،
اذا كان اعلى الطَّلحِ كالرمك الشهب ، [١]
بني الكلب ، لولا ان اولادَ دارم
تُذَبِّب عنكم في المزاهز والحربِ ، [٢]
اذاً لاتقيتم مـالكاً بضريبةٍ ؛
كذلك يعطيها الذليل على الغصبِ [٣]

...

يقولون: ذَبِّبْ ، يا جرير ، وراءنا !
وليس جريرٌ بالمحامي ولا الصُّلبِ

مستدقّ الساق . والاكارع : السفلة من الناس ، وهو المقصود . ليسوا بالعريض : لا ينزلون محلًّا واسعاً . السَّرب : الماشية .

١) يفرح : وفي رواية: يُفرَج . الطَّلح: شجر عظيم ، او هو شجر الموز . الرمك : ج . الرمكة : الفرس تُتخذ للنسل . – اذا وقع الجليد على الطلح ابيضَّ فشبَّهه بالخيل الشهباء . يقول: عند ذلك ، اي في الشتاء الشديد ، لا يفرح الاضياف ان ينزلوا بمحلَّة جرير .

٢) اولاد دارم : قوم الفرزدق ، وهم ابنـاء عمّ لقوم جرير . المزاهز : الحروب والبلايا التي تهزهز الناس : تحرّكهم وتجعلهم مضطربين .

٣) مالك : بنو مالك بن حنظلة . الضريبة : الفريضة على المغلوب .

من غير النقائض

فخر وهجو

بدأ الاخطل هذه القصيدة بذكر الخمرة (٦ ابيات) ثم تخلّص الى مدح جدار ابن عباد التغلبي(٧ ابيات) وانتقل الى الفخر (١٢ بيتاً) ،فذكر اجارته بني فقيم (بيتان) ، وانتهى بهجو بني أسد (٤ ابيات) :

١ اعاذلَ ، ما عليكِ بان ترَيني
أباكرُ قهوةً فيها احمرارُ !

تضمّنها نفوسُ الشَّرب ، حتى
يروحوا في جفونهم انكسارُ ؛

تواعدها التِجار الى أناها
فاطلعها على العرب التِجارُ ؛[1]

فاعطينا الغلاءَ بها ، وكانت
تأبّى ، او يكونَ لها يسارُ .[2]

٥ اعاذل ، توشكين بان ترَيني
صريعاً ، لا أزورُ ولا أُزارُ ،

اذا خفقت عليَّ ، فالبستني
بلامع آلها البيدُ القِفارُ !

---

١) الى اناها : الى بلوغها .

٢) تأبّى . . . : اي تمتنع او يكون لها زيادة ثمن كثير .

لعمرُ ابي ، لئن قومٌ اضاعوا ،
لنعم أخو الحِفاظ لنا جِدارُ ![1]

حماانا ، حين أَعوَرْنا وخفنا ،
وأَطعم حين يُتَّبع القُتارُ ؛[2]

واوقد نار مكرُمةٍ ومجدٍ ،
ولم توقد مع الجُشَمي ، نارُ !

١٠ واطعم اشهر الشهباء ، حتى
تضرّجَ عن منابته الحَسارُ .[3]

فان درَّت بكفّك ، فاحتلبها ،
ولا تكُ دِرَّةٌ فيها غِرارُ ؛[4]

وامسك عنك بالطرفين ، حتى
تَبَيَّنَ اين يصرِفُك المَغارُ ؛[5]

فانَّ عواقبَ الايام تُخشى
دوائرها ، وتنتقل الديارُ !

---

١) جدار : اسم الممدوح . المعنى : لئن اضاع الناس حرمة الجار ، كان الممدوح من المحافظين عليها .

٢) اعور الفارس : اذا بدا فيه موضع خلل للطعن . القُتار : ريح اللحم المشوي .

٣) الشهباء : السنة المجدبة . تضرّج : تشققت الارض عنه . الحَسار : نبت يشبه الجزر .

٤) الدرَّة : سيلان اللبن وكثرته . الغِرار : قلة اللبن . — اراد : اغتنم فرصة الخير ما سنحت .

٥) المغار : الغارة .

وقد علم النساء ، اذا التقينا ،
وهنَّ وراءنا ، أنا نغارُ .

١٥ تربَّعنا الجزيرةَ بعد قيس ،
فاضحت ، وهي من قيس قِفارُ ؛
يُزَجّون الحميرَ بارض نجد ،
وما لهم من الامر الخيارُ ،[1]
رأوا ثغرًا تحيط به المنايا ،
وأكبد ما يُغيّره الغيارُ ؛[2]
تُسامِي ماردون به الثريّاً ،
وايدي الناس دونهم قصارُ .[3]
واولادُ الصريح مُسوّماتٌ ،
عليها الاسد غُضفاً والفِهارُ ،[4]

٢٠ شوازبُ كالقنا ، قد كان فيها
من الغارات والغزو اقورارُ ؛[5]
ذوابلُ كل سلهبة خَنوفٍ ،
واجرد ما يُثبّطه الخَبارُ ،[6]

١) يزَجون : يسوقون .
٢) الثغر : المكان الذي يخاف منه هجوم العدو . اكبد : حصن مرتفع .
٣) ماردون وماردين : مدينة بالجزيرة .
٤) الصريح : الفحل المنجب . المسوّمات : المعلمات من الخيل . الفهار : من بني فهر . ويروى : والنِّمارُ
٥) شوازب : ج . شازب : ضامر . الاقورار : الضمور والتغير .
٦) السلهبة : الطويلة ، الخفيفة . خَنوف : يميل رأسه الى راكبه في عدوه ؛ او

فأترز لحمه التَعداء ، حتى
بدت منه الجَناجِنُ والفَقارُ ،[1]
وقد قلقت قلائد كل غوج
يُطفنَ به ، كما قلق السوارُ ،[2]
تراه كأنه سِرحانُ طَلٍّ ،
زهاهُ ، يومَ رائحة ، قِطارُ ،[3]
٢٥ وابقى الحرب والزَبات منها
صلادم ، ما تَخوَّنها المِهارُ .[4]
ألم ترني أجرت بني فُقَيم ،
بحيث غلا على مُضَر الجِوارُ ،[5]
بعاجنة الرحوب ، فلم يسيروا ؛
وسُيِّر غيرهم عنها ، فساروا .[6]
اذا الأسديّ حلّ بغير جارٍ ،
فليس له ، وان ظُلم ، انتصارُ .

من الخُنوف : سرعة قلب الفرس يديه وقلبهما من الارض . الخبار : ما لان من الارض واسترخى . وقيل : هو حفر في الارض .

١) اترز لحمه : صلّبه ، او ذهب به ، افناه . الجناجن : عظام الصدر .

٢) الغوج : الجواد من الخيل .

٣) السرحان : الذئب . زهاه : استخصّه ، حمله على ان يكون له حفيف . رائحة : ج . روائح : امطار العشيّ . القطار : القطر .

٤) الزبات : الشدائد . الصلادم : الشداد ، الصلاب من الخيل . ما تخوّنها المِهار : لا تنقصها المهار ، اي تنتج مِهارًا مع انها لا تكفّ عن الغارة .

٥) فقيم : بطن من كنانة . ٦) عاجنة الرحوب : موضع بالجزيرة .

تصول الى العلى أسد ، وتأبى
مخازيها ، وايـديها القصـارُ .

٣٠ ولست بواجـد الاسديّ الّا
يُنيب لمـا اناب له الحمارُ . [1]

واشهد انها أسـدُ بن نهدٍ ،
ومـا ولدت بني أسد نزارُ ! [2]

هجو بني اسد

بعد ان نظم الاخطـل القصيدة السابقة ، اجابه خنجر الاسدي ، فردّ عليه الاخطل بقصيدة ، منها :

١ بنو اسد رِجلان : رِجلٌ تذبذبت ،
ورِجلٌ اضـافتها اليـنـا التَراتِرُ ؛ [3]

فما الدينَ حاولتم ، ولكن دعاكم
الى الدين جوعٌ لا يُغمّض ساهرُ .

بني اسد ! قيست بي الرُّهنُ قبلكم :
صـلادُمها ، واللُهِباتُ المحاضِرُ ، [4]

فما وُجدت لي الرُّهنُ من يوم سقطةٍ
ولا عَثرةٍ ؛ ان البطـاء العواثرُ !

---

١) اناب للشيء : رجع مرة بعد اخرى .
٢) نهد : قبيلة من اليمن .
٣) تذبذبت : اضطربت ، ذهبت الى غيرنا . التراتر : الشدائد
٤) الرهن : الخيل . صلادم : ج . صِلدم : صلب ؛ شديد الحافر . اللهبات : ج . اللهبة : الفرس الشديدة الجري ، المثيرة الغبار . المحاضر : الشديدة الركض .

أخنجرُ ، لو كنتم قريشاً طَعِمتم ،
وما هلكت جوعاً بلَغْوَى المَعاصِرُ ، [١]
اذاً لضربتم في البطـاح بسُهمة ،
وكان لكم من طير مكة طـائر ! [٢]
ولكنها احتكت بكم قَمَليّة ،
بها باطن من داء سوء وظـاهر .

...

فامـا تمنّيكُم قريشاً ، فـانها
مصـابيحُ يرميها بعينيـه ناظرُ ،
فما انتم منها . ولكنّكم لهـا
عبيد العصا ، ما دام للزيت عاصر ! [٣]

...

بني اسد ، لستم بسِبّي فتُشتَموا ؛
ولكنما سِبّي سُلَيمٌ وعـامر [٤]
بني أسد ، لا تذكروا الفخر بينكم ،
فانتم لئام النـاس : بادٍ وحاضر

١) خنجر : هو خنجر الاسدي . لغوى : موضع في ديار بني اسد . المعاصر : ج . مُعصِر : الجارية البالغة .
٢) البطاح : بطاح مكة . بسهمة : اي لكان لكم قسمة في البطاح .
٣) عبيد العصا : لقب بني اسد : واصله ان ملكهم حجراً الكندي ، والد امرئ القيس ، ضرب سراتهم بالعصيّ حتى ماتوا .
٤) سِبّ الرجل : من يسابّه ، من يستحقّ ان يسبّه الرجل .

١٥ بني اسدٍ ، لا تذكروا المجد والعلى ،
فانكم ، في السوق ، كُذب فواجر

. . .

أخنجرُ ، قد أخزيت قومك بالتي
رمتك ، فُويقَ الحاجبين ، السنابرُ ؛[1]
فلو كنت ذا عزّ منعت ببعضه
جبينك أن تدمى عليه البصائر ؛[2]
فأبدِ ، لمن لاقيت ، وجهك ؛ واعترف
بشنعاء الذبّان فيها مصايرُ ؛[3]
بنعّارة ينفي المسابيرَ أربُها ،
عليها من الزُرق العيونِ عساكرُ ![4]
٢٥ أمِن عَوَزِ الاسماء سُمّيت خنجرًا ؟
وشرُّ سلاح المسلمين الخناجر !

---

١) السنابر : اراد بني ام سنبر من نصر بن قُعين، وكانوا قد شجّوا خنجرًا في وجهه.
٢) البصائر : ج البصيرة : الطريقة من الدم.
٣) بشنعاء . . . : اي بشجّة منكرة يسيل منها الدم ، ويتهافت عليها الذبّان .
٤) نعّارة : اي شجّة يفور منها الدم فيحدث صوتًا . الارب : القطع . ينفي . . . : اي هي عميقة لا يمكن ان يقاس غورها.

هجو الانصار

اوعز يزيد بن معاوية الى كعب بن جعيل بان يهجو الانصار ، فخاف ، ودلّه على الاخطل ، فهجاهم بهذه الابيات ، بعد ان ضمن له يزيد الامان . وكان ذلك اول اتصاله بالامويين.

١ لعنَ الالهُ بني اليهود عصـابةً
بالجِزْع بـين جُلاجل وصِرارِ ! (١)

قومٌ اذا هـدر العصيرُ ، رأيتَهم
حمرًا عيونُهم كجمر النـار .

ذهبت قريش بالمكارم والعلى ،
واللؤمُ تحت عمـائم الانصار !

فذروا المعـالي ، لستمُ من اهلها ،
وخذوا مساحيَكم ، بني النجار ، (٢)

٥ ان الفوارس يعرفون ظهوركم :
اولاد كلّ مقبّـح أكّار ; (٣)

واذا نسبتَ ابن الفريعة ، خلتَه
كالجحشِ بينَ حِمـارةٍ وحمـارِ ! (٤)

---

١) الجزع : منعطف الوادي . جُلاجل : جبل من جبال الدهناء . صِرار : جبل ، وقيل: وادٍ بالحجاز .

٢) مساحيكم : ج . مسحاة : آلة من حديد يُقشر بها . بنو النجار : من الانصار ، وهم قوم حسّان بن ثابت .

٣) مقبّح : وفي بعض الروايات : مفسّح . أكّار : حرّاث ، يحفر الارض .

٤) ابن الفريعة : حسّان بن ثابت .

un peu de l'anarchie, traditionnelle hélas ! chez tant de « ustazes. »

ثم يذكر الكاتب صفات المقدّمات والشروح ، والقطع المختارة من الدقة والضبط ، ويختم قائلًا :

« Le temps est également passé où sur l'œuvre d'un auteur, les « critiques » n'apportaient que des formules ampoulées, laudatives et grotesques. M. Boustany, lui, procède avec une minutieuse analyse... En sorte que les textes dont se forme le recueil ne sont pour ainsi dire que les pièces justificatives de son jugement. Ces pièces, en vérité, sont établies avec une précision à laquelle il nous faut bien rendre hommage. Un manuel de vulgarisation n'en est pas moins une œuvre scientifique...

« Analyse, synthèse, précision. Et l'on comprendrait mal que la clarté ne se dégage pas de tout cela. Les presses de l'Imprimerie Catholique se sont chargées de rendre la superbe ordonnance du fond par une exécution typographique parfaite...

« Il nous semble juste de placer la méthode de M. Boustany dans le mouvement qui tend aujourd'hui à utiliser pour l'étude de l'arabe, les principes de l'enseignement moderne. Ainsi présentés, les vieux auteurs de la Bâdia nous apparaissent avec un intérêt nouveau, nous dirons même avec un intérêt que nous ne leur soupçonnions pas. Voilà pourquoi toutes nos félicitations iront à M. Fouad Boustany, dont l'avenir s'annonce déjà si brillant. »

J. H.

Le Réveil, Le Caire, 15 Avril 1928

ونشرت جريدة L'Information المصرية ايضًا المقال نفسه . وكانت جريدة Le Réveil البيروتية قد وصفت على مرّتين بضعة اجزاء من « الروائع » فرأت فيها افضل طريقة لتثقيف الناشئة تثقيفًا عربيًا علميًا، وختمت مقالها الاول قائلة :

« Que M. Boustany continue ses efforts — Ils sont hautement appréciés par l'élite intellectuelle arabe. »

SACHA

Le Réveil, Beyrouth, 15 Juillet 1927

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

السلسلة الرابعة

ظهر حتى الآن

٣١ — الاعشى الاكبر : منتخبات شعرية

٣٢ — كعب بن زهير : بانت سُعاد ، ومقطّعات شتى

٣٣ — حسّان بن ثابت : منتخبات شعرية

٣٤ — الاخطل : مدائح منتخبة

٣٥ — الاخطل : اهاجيُّ منتخبة

يظهر قريباً

الاخطل : منتخبات شعرية : ٣

الفرزدق : منتخبات شعرية : ١

الفرزدق : منتخبات شعرية : ٢

جرير : منتخبات شعرية : ١

جرير : منتخبات شعرية : ٢

